

القرآن الكريم والإفادة من تجارب الآخرين (رؤية تربوية)

د. محمد محمود فلاح السوادة*، د. رابعة إسماعيل الرفاعي**

j

اعتمد للنشر في 2014/1/18م

سلم البحث في 2013/12/9م

ملخص البحث:

جاءت هذه الدراسة كمحاولة للكشف عن موقف القرآن الكريم من الاستفادة من تجارب الآخرين وحضارتهم، ومحاولة استنتاج التطبيقات التربوية المتعلقة بذلك، وذلك من خلال إبراز حقائق قرآنية تشير صراحة إلى وجوب مشاركة المسلمين لبنى الإنسانية فيما لديهم من إرث حضاري، حيث تدور فكرته العامة حول بيان أن القرآن الكريم وضع الأسس العلمية والعملية لهذا المصطلح المهم، وأرشد أتباعه لأن يكون شعارهم "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها" وضرب لذلك أروع الأمثلة القابلة للتطبيق.

Abstract:

The Holy Quran Benefiting from Experiences of Others: An Educational Vision

This study attempted to investigate the holy Quran's stand benefiting from experiences and cultures of others and an attempt to deduce the related educational applications. This can be obtained by highlighting Quranic facts that refer explicitly to the need for Muslim participation of their cultural heritage with humanity which centers around the idea that the holy Quran has put forward the scientific and practical foundations for this important term and that it guided its followers that their motto should be "Sagacity is the pursuit of the believer who is the most deserved -wherever found". The holy Quran offered the best applicable examples.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على الذي أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً بإذنه

* أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن الكريم، بقسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة والأنظمة، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية. (باحث رئيس).

** أستاذ مساعد في المناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية. (باحث مشارك).

وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن القرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ فصلت: ٤٢، يزخر بالآليء والكنوز، ونفائس الحلي وروائع الدرر، والعمل على تدبر آياته للوصول إلى أصدافه المكنونة، ودرره النفيسة الغزيرة، مطلب ضروري وحاجة إنسانية ملحة، نابعة من شدة الحاجة لمعرفة ملامح المنهج القرآني في النهضة وصناعة التميز وإقامة الدولة، لإعادة ما انتقض من صرح الدين والعقيدة، وتشبيده على قواعد سليمة، مستمدة أصولها وفروعها من الكتاب والسنة.

والإفادة من تجارب الآخرين في الإسلام مهارة نفيسة، وخلق أصيل، عززه القرآن، وجسدته السنة المطهرة، وعمل به الصحابة الكرام، كما أنه يعدُّ معلماً بارزاً من معالم التاريخ الإسلامي وأعمدته المهمة، ذلك أن الخبرة الإنسانية إرث مشترك، يتلقاه اللاحق عن السابق، ويسهم فيه كل جيل بما لديه من قدرات واستعدادات وفق شخصيته وحضارته؛ من أجل بناء حضارة الإنسان على مَدَّ التاريخ الإنساني كله¹.

ولقد لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى ضرورة الاستفادة من التاريخ ودراسة تجارب الأمم السابقة، والوقوف على مواطن الخطأ والصواب، فقال تعالى ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ آل عمران: ١٣٧، كما أرشدنا إلى حاجة كل إنسان لعلم أخيه الإنسان الذي سبقه، فالخبرات والعلوم لم تولد معناه، قال ﷺ: ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل: ٧٨، والعاقل لا يبدأ من الصفر.

من هنا فقد أفرد الله تعالى لمهارة الاستفادة من تجارب الآخرين مساحة كبيرة في كتابه المعجز، وفيه دلالة على العناية والاهتمام الكبيرين به، وذلك عن طريق أخذ العبرة من قصص السابقين تارة، فقال ﷺ: ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ

لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ يوسف: ١١١. وتارة عن طريق الإشارة إلى المشاهد الداعية للتعلم من خبرات الغير وتجاربهم، قال تعالى ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ ۖ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ المائدة: ٣١، وسيأتي ما في الآية من لطائف وحكم تؤكد الحث على الأخذ بما عند الآخرين من الخير أنى كان، ولو كان من قبيل الظواهر الطبيعية.

كما أكد القرآن الكريم - عن طريق بسط قصص الأنبياء والصالحين - على وجود نماذج كريمة، وتجارب إنسانية سابقة يُقتدى بها، وهو من قبيل الإبقاء على التجارب والإفادة منها، قال تعالى: ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَاهُ ۚ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ الأنعام: ٩٠، فلم يكن بدعا من الرسل، بل تقدمه أخوة له، وليس من معاني الهداية المقتدى فيها في الآية هنا الاقتداء بأصول الدين والتوحيد أو الشرائع، فهذه أنزلت مفصلة محكمة من لدن حكيم خبير، وجاءه ﷺ بشأنها الوحي، ولو كان المأمور بالاقتداء بهم عليهم السلام أحياء لما وسعهم إلا اتباعه ﷺ في هذا الشأن، كما قال في المنار: "بَعْدَ هَذَا يَتَّبِعِي أَنْ نَعْلَمَ مَا يَكُونُ بِهِ الْإِقْتِدَاءُ وَمَا لَا يَكُونُ وَلَا سِيَّمَا اقْتِدَاءُ النَّبِيِّ - الْمُرْسَلِ بِالْشَّرْعِ الْكَمَلِ - بِغَيْرِهِ مِمَّنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَمَّا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعُهُ، فَأَمَّا الْعِلْمُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ وَإِبْتِاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ وَبَسَائِرِ أُصُولِ الدِّينِ وَعَقَائِدِهِ كَالْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ وَأَمْرِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ فَكَانَ عِلْمًا ضَرُورِيًّا وَبُرْهَانِيًّا لَهُ... فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْإِقْتِدَاءِ فِيهِ بِمَنْ قَبْلَهُ وَلَا هُوَ مِمَّا يَقَعُ فِيهِ الْإِقْتِدَاءُ... وَأَمَّا الشَّرَائِعُ الْعَمَلِيَّةُ فَلَا يَقْتَدِي فِيهَا الرَّسُولُ بِأَحَدٍ أَيْضًا، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُهَا لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِاتِّبَاعِهَا - ذَلِكَ بِأَنَّ الرَّسُولَ لَا يَتَّبِعُ فِي الدِّينِ إِلَّا مَا أَوْحِيَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ أَوْحِيَ إِلَيْهِ...".

فَمَعْنَى الْجُمْلَةِ عَلَى هَذَا: أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ الثَّمَانِيَّةُ عَشَرَ الَّذِينَ ذُكِرَتْ أَسْمَاؤُهُمْ

فِي الْآيَاتِ الْمُنْتَوَةِ أَنْفَاءً، وَالْمَوْصُوفُونَ فِي الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ بِإِتِّئَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، هُمُ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْهَدَايَةَ الْكَامِلَةَ، فَبِهَدَاهُمْ دُونَ مَا يُغَايِرُهُ وَيُخَالِفُهُ مِنْ أَعْمَالٍ غَيْرِهِمْ وَهَفَوَاتٍ بَعْضُهُمْ أَفْتَدَى أَيْهَا الرَّسُولُ فِيمَا يَتَنَاولُهُ كَسْبُكَ وَعَمَلُكَ مِمَّا بُعِثْتَ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَالصَّبْرِ عَلَى التَّكْذِيبِ وَالْجُودِ، وَإِيْذَاءِ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالْجُمُودِ، وَمَقْلَدَةِ الْأَبَاءِ وَالْجُدُودِ وَإِعْطَاءِ كُلِّ حَالٍ حَقَّهَا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَأَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، كَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، وَالشَّجَاعَةِ وَالْحِلْمِ، وَالْإِيْثَارِ وَالزُّهْدِ، وَالسَّخَاءِ، وَالْبَذْلِ، وَالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، إلخ²

وستستعرض الدراسة هذا الموضوع بشكل أشمل في المبحث الثاني مع بيان أدلة الشيخ في تفسيره وما حشده في السياق من أجوبة توضح ذلك³. إذن فلا يعدو أن يكون شكل الاقتداء نوعاً من الأساليب والطرق والأحوال التي تميز بها أنبياء الله عليهم السلام في مجال السجايا والأخلاق.

وقد نعى القرآن الكريم على اليهود والنصارى انغلاقهم واحتكارهم الحقيقة ووجه لهم أنواعاً من التوبيخ والملامة والذم لجهلهم، وذلك حين ألغى كل فريق شخصية الفريق الآخر، فقال تعالى: ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ قَالَ لَهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ البقرة: ١١٣.

وعلى العكس من ذلك تماماً، فقد أثنى سبحانه على قوم نظروا في الكلام ومعناه، ولم يقتصر على النظر إلى مصدره، بل أخذوا طيبه وأنفعه وأفادوا منه، وتركوا سيئه وقبيحه فكفوا شره. فقال ﷺ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ الزمر: ١٨، قال الألوسي في تفسيرها: "وقيل يستمعون القول ممن كان، فيتبعون أولاه بالقبول وأرشده إلى الحق، ويلزم من وصفهم بذلك أنهم يميزون القبيح من الحسن ويجتنبون القبيح"⁽⁴⁾، فالحمد سبحانه لم يصف القول لأحد، ولم يقيد بجهة ما، من أجل فتح ميدان

الإفادة من كل جهة لديها إضافة خير، وهو منحى متميز في الدعوة إلى أخذ الحكمة والإفادة منها.

الدراسات السابقة:

تعدُّ دراسة موضوع (منهج القرآن الكريم في الإفادة من تجارب الآخرين "رؤية تربوية") بکرا في بابها؛ إذ لم يسبق لأحد -حسب علم الباحثين- دراستها من جانب هدايات القرآن الكريم تربوياً، لكن هناك دراسة تتصل بموضوعنا هذا من حيث ما يتعلق بتجارب الآخرين، لكن من جهة الحديث الشريف فحسب، وهي موسومة بـ (الاستفادة من مخترعات وتجارب غير المسلمين، في ضوء السنة النبوية، دراسة حديثة) د. إبراهيم بن حماد الرئيس، نشر في مجلة الدراسات الإسلامية، عام 1427هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.

وكما يظهر من عنوان هذه الدراسة؛ فإنها تعالج موضوع الاستفادة من تجارب الآخرين فيما يتعلق بالسنة النبوية فحسب دون ما يتصل بالقرآن الكريم وعلومه.

أيضاً هناك دراسة تعرضت لتجارب الآخرين من جهة تميز السنة النبوية وسبقها في هذا الميدان وهي موسومة بـ (السنة النبوية والإفادة من تجارب الآخرين دلالة تميز ومظهر إبداع) د. محمد محمود السواعة نشرت في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد 7 - 1434هـ، فهي كما يتضح من عنوانها تقتصر على مناقشة الإفادة من تجارب الآخرين فيما يخص تميز السنة النبوية أيضاً.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- إبراز المنهج القرآني وتجلياته في الإفادة من تجارب الآخرين تربوياً.
- 2- تسجيل مواقف قرآنية تدعو المسلمين للإفادة من تجارب الآخرين.

- 3- بيان السبق الحضاري للقرآن الكريم في مجال الاستفادة من تجارب الآخرين.
 - 4- الدعوة إلى تنوير الأذهان وتوسيع التفكير لدى الأفراد والمؤسسات المختلفة حول أهمية الاستفادة من تجارب الآخرين وقبوله.
 - 5- التأصيل الشرعي لمهارة إفادة المسلمين من تجارب الآخرين.
 - 6- التركيز على ضرورة إعمال تقارير القرآن الكريم في جوانب الاستفادة من تجارب الآخرين وأهميتها الخاصة في عصرنا الحاضر (عصر تفوق الآخرين).
- الإفادة من هذه الدراسة:**

يتوقع أن تكون نتائج البحث في غاية الأهمية، فهي بالإضافة لاتخاذ القرآن الكريم قاعدة ومنهجاً ومنطلقاً باعتباره المرجع الأهم في حياة المسلمين، فإنها أيضاً تطرق باباً حساساً ودقيقاً لتعلقها بما عند القوم من معارف وفنون بغية تأصل التعامل مع ما عندهم من علوم تفوق علوم المسلمين وقدراتهم، كل ذلك من خلال ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم من مسائل متنوعة في هذا الإطار.

ومعلوم أن هذا العصر يزخر بتفوق الآخرين في أكثر من ميدان ومجال، وعلى أكثر من صعيد ومنحى، وخاصة فيما يتعلق بنظريات التربية الكون والبيئة بكل ما فيها من جوانب وحدود.

من هنا كان معرفة هدايات القرآن الكريم وموقفه تجاه ذلك كله مما يحتاج إليه المسلمون ليلتحقوا بركب الحضارة العالمية ضمن ضوابط منهج القرآن الكريم وحدوده. لذا كانت مجالات الاستفادة من هذه الدراسة شاملة لجميع جوانب العلوم الإنسانية.

خطة الدراسة

يعتمد البحث المنهج الوصفي والاستقصائي، وذلك من خلال تحديد مشاهد من منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى النظر فيما عند الآخرين من تجارب وخبرات تربوية، وقد اشتمل على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة كالاتي:

المقدمة: وتشتمل على مشكلة الدراسة، أهدافها، أهميتها ومبرراتها، الدراسات السابقة، الجديد في الموضوع.

المبحث الأول: القرآن الكريم لا يلغي الآخرين.

المبحث الثاني: المنهج القرآني في الإفادة من علوم الآخرين.

المبحث الثالث: التطبيقات التربوية لمنهج القرآن الكريم في الإفادة من تجارب الآخرين.

المبحث الرابع: حكم الإفادة من علوم غير المسلمين

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

القرآن الكريم لا يلغي الآخرين

الإسلام متمثلاً في القرآن الكريم والسنة المطهرة اعتد بالآخرين وحاورهم وذكرهم ووصف أحوالهم وبين موقفه تجاههم عقيدة وشرعية، وتعاملاً وطعاماً وزواجا وشعوراً، وغيرها من مناحي الحياة المختلفة فهو يعترف بالآخر، ويقر بوجوده على نحو لا لبس فيه، وهذا يعني أن الحالة الإسلامية هي حالة قبول الآخر ضمن أطر واضحة ومحددة، وتتجسد مظاهر ذلك ضمن المطالب الآتية:

أولاً: حوار الآخرين

دعا القرآن الكريم إلى التزام مبدأ العدل والإنصاف وعدم التعصب في الحوار، وسبق في ذلك جميع رواد الفكر القديم والحديث عندما أمر المحاور بأن لا يحتكر المعرفة وينسبها لنفسه، فقال تعالى: ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ سبأ: ٢٤، قال الألوسي: "وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة ظاهرة على من هو من الفريقين على هدى ومن هو في ضلال ولكن التعريض أبلغ من التصريح وأوصل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكتة بالهويناء، ونحوه قول الرجل لصاحبه: قد علم الله تعالى الصادق

مني ومنك وإن أحننا لكاذب"5. وفي الآية دعوة المتخاصمين والمتحاورين إلى سماع الآخر وفهم ما عنده والبحث عن الحق أينما وجد. "وفي هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وفيه كمال إعلان الرغبة بنشيدان الحقيقة أنى كانت"6.

وفي معرض الدعوة إلى الانطلاق من المسلمات في الحوار والحرص على إقناع الآخرين قال تعالى: ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ آل عمران: ٦٤. قال ابن عاشور: "رجوع إلى المجادلة بعد انقطاعها بالدعاء إلى المباشلة، بعث عليه الحرص على إيمانهم،... وقد جيء في هذه المجادلة بحجة لا يجدون عنها مؤنلاً وهو دعوتهم إلى تخصيص الله بالعبادة ونبذ عقيدة إشراك غيره في الإلهية"7، "وصيغة الآية قوية رائعة حيث تدعو أهل الكتاب إلى كلمة فيها كل الحق وكل العدل. يدين بها الجميع"8

وفي هذا المضمار سعى القرآن الكريم إلى ترشيد الاختلاف بهدف تحقيق ثقافة العيش المشترك والتعبير عن التقاء كل الثقافات في إطار من الاعتراف والخصوصية وإعطاء الحق لكل ثقافة أن تعبر عن نفسها وتعيد تصحيح تاريخها درءاً لقيم الإلغاء والإقصاء والتهميش وادعاء امتلاك الحقيقة واحتكارها وإمطار المخالف بكل النعوت الأخلاقية، وتثبيتاً لقيم القبول بالآخر وإشاعة قيم التعارف والتعاون، والتخلص من أوهام الكونية والعولمة، وفي سبيل ذلك كله نجد القرآن الكريم يطالب الخصم بالدليل بقوله: ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ البقرة: ١١١.9

وهذا القبول بالآخر لم يكن منطلقه من حالة طارئة بل هو امتداد طبيعي للخط الفكري القرآني، وهذا يعني أن القرآن يبحث عن نقاط اللقاء مع الآخرين ليحاوهم ويتحدث إليهم، ويجسد معنى التشاور والرأي الآخر، ويرسخ مفاهيم الحوار العقلاني الذي لا يلغي الآخر أو يهمشه أو يتجاوزه أو يسفهه10.

لذا نجد القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً يسلك أفضل الطرق من أجل كسب ثقة الآخرين والتأثير عليهم وخاصة أهل الكتاب، فنهى عن حوارهم بأسلوب جاف أو مناقشتهم بلسان الغلظة والعظمة كما تدل عليه عبارة ﴿٤٥﴾ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ العنكبوت: ٤٦.

قال السعدي: "ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار... ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده أن يكون الإنسان نزيهاً في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملاً لكل أحد، صبوراً على ما يناله من أذى الخلق، امتثالاً لأمر الله، ورجاء لثوابه"¹¹.

ومنهج القرآن الكريم يعتمد على الحجة وقوة الطرح والإيجابية وانتفاء النقص، ومن ثم فلم يأمر بمقاطعة الحوار أو النقاش، بل هذا ديدن الضعفاء وذووا النقائص ممن ينفرون من البراهين والأدلة، ولم ينهنا عن الجدل مطلقاً فهذا من المستحيل واقعياً، إذ أن هناك أناساً إن لم تتناقشهم فلن تكسب ثقتهم أو تظفر بسمعهم، قال تعالى: ﴿١٢٤﴾ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ النحل: ١٢٥. "أي ناظر معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة، من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر، واستعمال المقدمات المشهورة تسكيناً لشعبهم وإطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام، والآية دليل على أن المناظرة والمجادلة في العلم جائزة إذا قصد بها إظهار الحق"¹².

ومن معالم المنهج القرآني في حوار الآخرين عدم قمع المخالف أو محاولة فرض الآراء والأفكار على بالقوة حتى على مستوى العقيدة وكما يقول مراد هوفمان: "إن الإسلام ينهى عن التبشير العدوانى الذي تمارسه البعثات المسيحية

حتى رسول الإسلام نبهه القرآن ﴿١١﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٢﴾ هود: ١٢، ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۖ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۖ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٠﴾ آل عمران: ١٣٢.

مما تقدم نخلص إلى أن القرآن الكريم اعترف بالناس جميعا بدليل أنه حاورهم وناظرهم ووضع قواعد تحترم وجهات نظرهم ولم يقمعهم أو يتجاهلهم. **ثانياً: تخصيص أهل الكتاب وتمييزهم:**

إن القرآن الكريم عادل في تشريعاته وأحكامه وقواعده، ومن دواعي حكمته أنه ميز مجموعة من البشر، وأمة من الناس لحكمة ومنفعة، كشدة الحاجة إلى مخالطتهم والتعامل معهم، أو الإشارة إلى أصول شريعتهم ومصدر دينهم، ففي معرض تفصيل ما يحل من الأطعمة وما يجوز من النكاح، قال سبحانه: ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٥﴾ المائدة: ٥. فقد أباحت الآية ذبائح أهل الكتاب ونساءهم بضوابط الشرع الحنيف، ويفهم منها أيضاً حرمة طعام غيرهم من الكفار والمشركين ومصاهرتهم، ومنهم العرب وغير العرب¹⁴.

وعلق ابن عاشور على الآية بقوله: "لم يعرّج المفسرون على بيان المناسبة بذكر وطعامكم حلّ لهم، والذي أراه أن الله تعالى نبّهنا بهذا إلى التيسير في مخالطتهم، فأباح لنا طعامهم وأباح لنا أن نطعمهم طعامنا، فعلم من هذين الحكمين أنّ علّة الرخصة في تناولنا طعامهم هو الحاجة إلى مخالطتهم، وذلك أيضاً تمهيد لقوله بعد: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) لأنّ ذلك يقتضي شدة المخالطة معهم لتزوّج نساءهم والمصاهرة معهم"¹⁵.

ولهذا المعنى قال بعض المفسرين: "والحكمة الملموحة في النص على تبادل الطعام بين المسلمين والكتابيين هي التأنيس وقصد حسن التواصل والتعايش بين الذين تجمعهم في العقيدة والمبادئ مصدر واحد وهو الله تعالى"¹⁶. كما ميزهم الإسلام مرة أخرى حينما قبل منهم الجزية فأعفاهم من الدخول في الإسلام ومنع قتالهم، وكان مدار هذه الميزة يرتكز على أنهم أهل كتاب.

جاء في المذهب الشافعي قولهم: "الكفار على ثلاثة أقسام:

أ- قسم ليس لهم كتاب، ولا شبهة كتاب، فهؤلاء لا تؤخذ منهم الجزية، ولا يقرون في دار الإسلام بالجزية أصلاً، وهم عبدة الأوثان والنيران، وما استحسونه من الصور الحسان، فلا تعقد لهم الذمة، بل نقاتلهم حتى نستأصلهم أو يسلموا.

ب- وقسم لهم حقيقة الكتاب، وهم اليهود والنصارى، وهؤلاء تحقن دماؤهم بالجزية، وتحل ذبائحهم، ومناكحتهم بنصوص القرآن، فأما الحقن، ففي قوله تعالى: ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ التوبة: ٢٩.

ج- وقسم ليس لهم كتاب، ولهم شبهة الكتاب، وهم المجوس، فتحقن دماؤهم بالجزية، ولا تحل ذبائحهم، ولا مناكحتهم على ظاهر المذهب"¹⁷.

وفي سياق الاعتراف بالنصارى، نجد أن القرآن الكريم أورد ذكر اسم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام خمس وعشرين مرة، في حين أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يذكر إلا خمس مرات فحسب، وكذلك ذكرت مريم عليها السلام في القرآن أكثر مما ذكرت في الإنجيل.¹⁸ وحدث عن سائر طوائف بني إسرائيل ولا حرج.

والقرآن الكريم يعترف بالأنبياء -عليهم السلام- جميعاً وبكتبهم ويأمر أتباعه بالاعتداد بأصل شرائعهم ودعواتهم، ويدعو المسلمين إلى الإيمان بكل ذلك، فقال تعالى: ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ

بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَتَحَنُّ لَّهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ البقرة: ١٣٦، بل يذهب القرآن الكريم إلى أبعد من ذلك عندما يساوي بين رسالة محمد ﷺ وسائر الرسالات السابقة في الأصل والهدف، فقال سبحانه: ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء: ١٦٣¹⁹.

يتبين مما سبق أن القرآن الكريم اعترف بوجود الآخرين وعاداتهم وملامح حياتهم على نحو ما، وخاصة أهل الكتاب.

ثالثاً: إقرار عادات سابقة:

كما نجد أن القرآن أقرَّ بعضاً من عادات العرب الجاهليين وأعرافهم التي لا تتعارض مع مقاصده وكتلياته، كعادة الجوار التي كانت موجودة قبل نزول القرآن، قال تعالى: ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ التوبة: ٦ "وقد عرف العرب قبل الإسلام أشكالاً من الاستجارة منها ما كان بالأحياء، ومنها ما كان بالأموات وقبورهم.... فان استجار شخص بقبر أحد الاموات وكان صاحب القبر شريفاً أو عظيماً أجارته القبيلة إكراماً لذلك العظيم أو الشريف الذي كان يجير قبل موته"²⁰.

وعادة تعظيم حرمة البيت، فقد حرم الله تعالى مكة كلها من أجل حرمة بيته العظيم، قال تعالى: ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۚ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ النمل: ٩١، وأجاب سبحانه دعاء إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ إبراهيم: ٣٧، فغرس تعظيمه في النفوس، وألقى محبته في القلوب، وكانت العرب تعظم الحرم، ولا تطوف فيه بثياب عصت الله فيها، فكان الرجل إذا قدم الحرم اشترى ثياباً ؛ ليطوف فيها، فإن لم يستطع استعار من أهل الحرم، فإن لم يجد طاف عارياً.²¹ ومن تعظيمهم للبيت أنهم حرموا على أنفسهم بناء البيت بمال

حرام أو قالوا: (لا تدخلوا فيه من كسبكم إلا الطيب، ولا تدخلوا فيه مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس)²².

وقد صدق في هذا البلد وعد الله تعالى حتى في الجاهلية فقال تعالى:
﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ^ط وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ^ط وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ^ط وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ^ط آل عمران: ٩٧،
وقوله سبحانه: ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي
جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ^ط وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُزِقْهُ مِنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ^ط الحج: ٢٥، وكانت العرب تمتنع فيه عما تستحله في غيره، فكان الرجل
منهم لو لقي به قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه، ولم يعرض له حتى يخرج منه.²³
وتسميه مضر الأصم؛ لسكون أصوات السلاح وقعقعته فيه. ولما أراد كفار قريش
قتل خبيب ^{رضي الله عنه} أخرجوه خارج الحرم؛ وذلك تعظيما للحرم.²⁴

وكعادة السقاية والرفادة وسدانة البيت التي أشار لها القرآن الكريم بقوله:
﴿١٨﴾ أَجْعَلْنُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^ط لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ^ط وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ^ط التوبة:
١٩. "وقد كانت سقاية الحاج وعمارمة المسجد الحرام من أعظم مناصب قريش في
الجاهلية، والمناصب عشرة، وتسمى المآثر فكانت السقاية لبني هاشم بن عبد مناف
بن قصي وجاء الإسلام وهي للعباس بن عبد المطلب، وكانت عمارة المسجد، وهي
السدانة، وتسمى الحجابة، لبني عبد الدار بن قصي وجاء الإسلام وهي لعثمان بن
طلحة، وكانت لهم مناصب أخرى ثمانية أبطلها الإسلام".²⁵

وكعادة تقليد الهدى وإشعاره قال تعالى: ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلُوا
شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا
مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ^ط وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ^ط وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ^ط وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ^ط المائدة: ٢٦ "وَكَانَ مَنْ يُرِيدُ الْحَجَّ

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ يَرْجِعُ مِنْهُ يَتَقَلَّدُ مِنْ لِحَاءِ شَجَرِهِ لِيَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَا يَعْرِضُ لَهُ أَحَدٌ، فَأَقَرَّ اللَّهُ تَأْمِينَ الْمُقَلِّدِ لَتَعَلَّمَ الْعَرَبُ أَنَّ مَنْ تَقَلَّدَ لِلْجَلِّ النَّسْكَ كَانَ فِي جِوَارِ الْمُسْلِمِينَ وَحِمَايَتِهِمْ، وَبِهَذَا فَسَّرَ بَعْضُهُمُ الْآيَةَ²⁷

ولقد انتهى الأمر إلى أبعد من ذلك، فقد كان نتاج التفاعل الحضاري بين المسلمين وغيرهم أن دخلت إلى المنظومة الثقافية الإسلامية جملة من الجزئيات التي كان هناك مصلحة ما من دخولها، كاشتغال العربية على كلمات من لغات غير عربية كالفارسية والحشوية، واستخدام القرآن لهذه الكلمات على رأي من قال بذلك⁽²⁸⁾، وحتى لو لم يحتو القرآن الكريم على أي مفردة غير عربية، كما ذهب إلى ذلك علماء آخرون، اعتماداً على معطيات ومسوغات اقتنعوا بها، فإن الرأي الذي يرى احتواء القرآن على كلمات غير عربية، إنما استند على الأصل العام الذي قام عليه الإسلام في هذا الصدد، وهو جواز الإفادة من الآخر، بل وجوب هذه الإفادة إذا كان الأمر المطلوب لن يتحقق إلا بها، وعلى قاعدة (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)²⁹.

وخلاصة الأمر أن القرآن الكريم يدعو إلى التعايش مع المخالف وبيحث عن القواسم المشتركة مع الآخر على نحو يمكن الإنسان من الإفادة من خبرات أخيه الإنسان، فالرؤية القرآنية الفكرية والعقدية -والتي تجسدت في تاريخنا الحضاري واقعاً معاشاً عبر قرون- تفيد أن التمايز والتعدد والاختلاف والتنوع والتعامل مع المخالف سنة كونية وقانون إلهي ومبدأ إسلامي راسخ قال تعالى: ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ البقرة: ٢١٣، وقال تعالى: ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ هود: ١١٨، 30.

المبحث الثاني

المنهج القرآني في الإفادة من علوم الآخرين

منهج القرآن الكريم في التعامل مع ميراث الأمم والشعوب منهج شامل، ومتكامل، ومتوازن، وخاضع لسنن الله في المجتمعات وبناء الدول والممالك، كسنة التدرج، وسنة التدافع، وسنة الابتلاء، وسنة الأخذ بالأسباب، وسنة التغيير³¹. والناظر في كتاب الله تعالى يجد أنه دعا إلى الإفادة من تجارب الآخرين بمناهج شتى وصور متنوعة وطرق مختلفة؛ فمرة يطلب من الناس -مؤمنين وكفاراً- النظر في آثار السابقين والاعتبار بأحوالهم والاطلاع على أسباب ما حل بهم جراء فعلهم، ومرة يوجه أتباعه إلى معرفة أن اختلاف الناس وتعدد مشاربهم وتنوع ميولهم وتناقض أمزجتهم سنة لا تتبدل وطريق لا يتغير ولا يعتريه أقول أو زوال، وتارة عن طريق الإشارة إلى المشاهد الداعية للتعلم من خبرات الغير وتجاربهم ووجوب تعلم ما عند الآخرين بصورة المحاكاة وتكرار النموذج واتخاذ القدوة من عوالم شتى عاقلة وغير عاقلة، ويمكن تفصيل ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول

الدعوة إلى النظر في آثار السابقين

لفت القرآن الكريم أنظارنا في أكثر من موضع منه إلى ضرورة الضرب في الأرض والنظر فيما خلفه المتقدمون والأمم السابقة والاطلاع على تجاربهم ومصارعهم، للوقوف على مواطن القوة والضعف والخطأ والصواب من نتائج أعمالهم وآثار سلوكهم، قال تعالى: ﴿۱۳۶﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿۱۳۷﴾ آل عمران: ۱۳۷، ونجد في المعنى اللغوي للفظ (سنن) ما يرشدنا إلى وجوب استكشاف سبل السابقين وأحوالهم وطرائق عيشهم باعتباره قانوناً ماضياً، ينهل اللاحق من بحره ما ينفعه ويحتاج إليه، لأن معنى: "سُنَنٌ جمع سنة، وهي السيرة والطريقة التي يكون عليها الفرد أو الجماعة، وسنن الله تعالى في خلقه قانونه الماضي في الخلق"³².

وليس المقصود بالنظر في سنن السابقين النظر فيما حل بهم من دمار وعذاب فحسب، دون ما شيدوه وأقاموه من نهضة وتطور وعمران وصلاح، وليس

المقصود به الكافرون دون المؤمنين، قال في المنار: "إِنَّ إِرْشَادَ اللَّهِ إِيَّانَا إِلَى أَنْ لَهُ فِي خَلْقِهِ سُنَنًا يُوجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَ هَذِهِ السُّنَنَ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ الْمُدَوَّنَةِ لِنَسْتَدِيمَ مَا فِيهَا مِنَ الْهَدَايَةِ وَالْمَوْعِظَةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ، فَيَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ فِي مَجْمُوعِهَا أَنْ يَكُونَ فِيهَا قَوْمٌ يُبَيِّنُونَ لَهَا سُنَنَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ كَمَا فَعَلُوا فِي غَيْرِ هَذَا الْعِلْمِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الَّتِي أُرْسِدَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ بِالْإِجْمَالِ وَقَدْ بَيَّنَّهَا الْعُلَمَاءُ بِالتَّفْصِيلِ عَمَلًا بِإِرْشَادِهِ، كَالْتَوْحِيدِ وَالْأُصُولِ وَالْفَقْهِ.

وَالْعِلْمُ بِسُنَنِ اللَّهِ - تَعَالَى - مِنْ أَهَمِّ الْعُلُومِ وَأَنْفَعِهَا، وَالْقُرْآنُ سَجَلٌ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ دَلَّنَا عَلَى مَأْخِذِهِ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ إِذْ أَمَرْنَا أَنْ نَسِيرَ فِي الْأَرْضِ لِأَجْلِ اجْتِلَائِهَا وَمَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهَا، وَلَا يُحْتَجُّ عَلَيْنَا بِعَدَمِ تَدْوِينِ الصَّحَابَةِ لَهَا فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَدُونُوا غَيْرَ هَذَا الْعِلْمِ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي وَضِعَتْ لَهَا الْأُصُولُ وَالْقَوَاعِدُ، وَفُرِّعَتْ مِنْهَا الْفُرُوعُ وَالْمَسَائِلُ، (قَالَ) وَإِنِّي لَا أَشْكُ فِي كَوْنِ الصَّحَابَةِ كَانُوا مُهْتَدِينَ بِهَذِهِ السُّنَنِ وَعَالِمِينَ بِمُرَادِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِهَا، يَعْنِي أَنَّهُمْ بِمَا لَهُمْ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشُّعُوبِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُمْ وَمِنَ التَّجَارِبِ وَالْأَخْبَارِ فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا وَبِمَا مُنَحُوا مِنَ الذِّكَاءِ وَالْحَذَقِ وَقُوَّةِ السَّنْبَاطِ كَانُوا يَفْهَمُونَ الْمُرَادَ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَيَهْتَدُونَ بِهَا فِي حُرُوبِهِمْ وَقِتُوحَاتِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ لِلْأُمَمِ الَّتِي اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا، لِذَلِكَ قَالَ: وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ بِالتَّجَرُّبَةِ وَالْعَمَلِ أَنْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ النَّظَرِيِّ الْمَحْضِ وَكَذَلِكَ كَانَتْ عُلُومُهُمْ كُلُّهَا، وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ حَالَةُ الْعَصْرِ اخْتِلَافًا احْتِاجَتْ مَعَهُ الْأُمَّةُ إِلَى تَدْوِينِ عِلْمِ الْأَحْكَامِ وَعِلْمِ الْعَقَائِدِ وَغَيْرِهِمَا كَانَتْ مُحْتَاجَةً أَيْضًا إِلَى تَدْوِينِ هَذَا الْعِلْمِ، وَلَكَ أَنْ تُسَمِّيَهُ عِلْمَ السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ أَوْ عِلْمَ الْجَمْعِ أَوْ عِلْمَ السِّيَاسَةِ الدِّيْنِيَّةِ. سَمَّ بِمَا شِئْتَ فَلَا حَرَجَ فِي التَّسْمِيَةِ. ثُمَّ قَالَ: وَمَعْنَى الْجُمْلَةِ: انظُرُوا إِلَى مَنْ تَقَدَّمَكُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ، فَإِذَا أَنْتُمْ سَلَكَتُمْ سَبِيلَ الصَّالِحِينَ فَعَاقِبَتُكُمْ كَعَاقِبَتِهِمْ، وَإِنْ سَلَكَتُمْ سَبِيلَ الْمُكَذِّبِينَ فَعَاقِبَتُكُمْ كَعَاقِبَتِهِمْ³³.

قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^{٣٤} كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا

وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾: الروم: ٩، قال البغوي: "فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتركوا منازلهم ومساكنهم خاوية كان أكثرهم مشركين أي: كانوا مشركين فأهلكوا بكفرهم" 34. فقال كان أكثرهم ولم يكونوا جميعا.

وقد يصح تفسير آيات الأمر بالسير في الأرض وإجالة النظر في السموات والأرض لمغزى استثماري، إذ أن معرفة الإنسان بالطبيعة معرفة تراكمية مبنية على خبرة من سبق من البشر كما ألمح لذلك الشيخ الشعراوي بقوله: "والسير في الأرض نظر له الدين من ناحيتين: سير يُعَدُّ سياحة للاعتبار، وسير يُعَدُّ سياحة للاستثمار، فالسير للاعتبار أن تتأمل الآيات في الأرض التي تمر بها، فالجزيرة العربية مثلاً صحراء وجبال ينذر فيها الزرع، فإن ذهبت إلى أسبانيا مثلاً تجدها بلداً خضراء لا تكاد ترى سطح الأرض من كثرة النباتات بها، وفي كل منها خيرات؛ لأن الخالق سبحانه وزَّع أسباب الفضل على الكون كله، وترى أن هذه الأرض الجرداء القاحلة والتي كانت يشقُّ على الناس العيش بها لما صبر عليها أهلها أعطاهم الله خيرها من باطن الأرض... فالخالق سبحانه وزَّع الخيرات على الأرض، كما وزَّع المواهب على الخلق ليظل الجميع مرتبطاً ببعضه ببعض برباط الحاجة لا يستغني الناس بعضهم عن بعض، ولا البلاد بعضها عن بعض، وهنا لفظة إيمانية: أن الخلق عباد الله وصنعتهم، والبلاد كلها أرض الله وملكه، وليس لله ولد، وليس بينه وبين أحد من عباده قرابة، فالجميع عنده سواء، لذلك سبق أن قلنا: لا ينبغي لك أن تحقد على صاحب الخير أو تحسده؛ لأن خيره سيعود عليك حتماً" 35.

وخلاصة الأمر أن السير في الأرض والإفادة مما بثه الله تعالى فيها من خيرات والاعتبار بما عملته يد الإنسان وشيدته حركته بمعرفة قوانين الله في الكون منهج قرآني أصيل وهدف إيماني جليل، فضلاً عن أنه مطلب وضرورة بشرية لا يستغني عنه أمة من الناس.

المطلب الثالث

منهج المحاكاة

أكد القرآن الكريم عن طريق بسط قصص الأنبياء والصالحين، وتصوير حركة الكائنات والعوالم على وجود نماذج كريمة، وتجارب إنسانية سابقة يُقتدى بها، وهو من قبيل الإبقاء على التجارب والإفادة منها، قال تعالى: ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهٖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنِّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ الأنعام: ٩٠.

وقد تقدم في صدر هذا البحث قلبي حول معنى الآية ما مفهومه أنه ليس من معاني الهداية التي أمر ﷺ بالافتداء فيها هنا: الافتداء بأصول الدين والتوحيد أو الشرائع، فهذه أنزلت كاملة مفصلة محكمة من لدن حكيم خبير، وجاءه ﷺ بشأنها الوحي، ولو كان المأمور بالافتداء بهم عليهم السلام أحياء لما وسعهم إلا اتباعه ﷺ في هذا الشأن، وقد تقدم كلام صاحب المنار في مقدمة هذه الدراسة حول هذا الإشكال الشائع لمفهوم هذه الآية، أعيده هنا بتمامه لأهميته في هذا الباب مع شيء من التصرف حيث قال: بَعْدَ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ مَا يَكُونُ بِهِ الْإِقْتِدَاءُ وَمَا لَا يَكُونُ وَلَا سِيَّمَا اقْتِدَاءَ النَّبِيِّ - الْمُرْسَلِ بِالْشَّرْعِ الْكَامِلِ - بِغَيْرِهِ مِمَّنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَمَّا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعُهُ، فَأَمَّا الْعِلْمُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ وَإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ وَبَسَائِرِ أَصُولِ الدِّينِ وَعَقَائِدِهِ كَالِإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ وَأَمْرِ الْبُعْثِ وَالْجَزَاءِ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ فَكَانَ عِلْمًا ضَرُورِيًّا وَبُرْهَانِيًّا لَهُ... فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْإِقْتِدَاءِ فِيهِ بِمَنْ قَبْلَهُ وَلَا هُوَ مِمَّا يَقَعُ فِيهِ الْإِقْتِدَاءُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى لَهُ ﷺ: ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ النحل: ١٢٣، مَعْنَاهُ أَنَّ الْمِلَّةَ الَّتِي أَوْحَاهَا إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِاتِّبَاعِهَا - وَهِيَ الْعَقِيدَةُ وَأَصْلُ الدِّينِ - هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُهَا لِأَمْرِ اللَّهِ لَا لِأَنَّهَا مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ لَيْسَتْ مِمَّا عَلَّمَهُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ بِالتَّلَقِّي عَنْهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ، وَلَا بِالنَّقْلِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ﷺ نَاقِلًا ذَلِكَ عَنِ الْعَرَبِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَشْهُورِ الْمُتَوَاتِرِ عِنْدَ الْعَرَبِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ كَانَ مُوَحِّدًا حَنِيفًا. وَأَمَّا الشَّرَائِعُ الْعَمَلِيَّةُ فَلَا يَقْتَدِي فِيهَا الرَّسُولُ بِأَحَدٍ أَيْضًا، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُهَا لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِاتِّبَاعِهَا - ذَلِكَ بِأَنَّ الرَّسُولَ لَا يَتَّبِعُ فِي الدِّينِ إِلَّا مَا أَوْحِيَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ

أَوْحِيَ إِلَيْهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِمَّا فَسَّرْنَا مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ رَسُولِهِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
الجاثية: ١٨ الآية.

وَمُوافَقَةُ رَسُولٍ لِمَنْ قَبْلَهُ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَبَعْضِ فُرُوعِهِ لَا يُسَمَّى اقْتِدَاءً وَلَا تَأْسِيًا، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّأْسِيُّ بِهِ فِي طَرِيقَتِهِ الَّتِي سَلَكَهَا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ وَإِقَامَتِهِ. وَمِنَ الشَّوَاهِدِ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ الممتحنة: ٤ الآية - فَإِنَّهُ تَعَالَى أَرْشَدَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى التَّأْسِيِّ بِإِبْرَاهِيمَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ وَجَعَلَهُمْ قُدْوَةً لَهُمْ فِي سِيرَتِهِمُ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ هَدْيِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ، وَهِيَ الْبَرَاءَةُ مِنْ مَعْبُودَاتِ قَوْمِهِمْ وَمِنْهُمْ مَا دَامُوا عَابِدِينَ لَهَا.

وَلَمَّا كَانَ وَعْدُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْهَدْيِ، بَلْ كَانَ مَسْأَلَةً شَادَةً لَهَا سَبَبٌ خَاصٌّ اسْتَنْتَاهَا تَعَالَى مِنَ التَّأْسِيِّ بِهِ فَقَالَ: ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ الممتحنة: ٤ الخ.

فَمَعْنَى الْجُمْلَةِ عَلَى هَذَا: أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ الثَّمَانِيَّةُ عَشَرَ الَّذِينَ ذُكِرَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي الْآيَاتِ الْمَتْلُوءَةِ أَنْفَاءً، وَالْمَوْصُوفُونَ فِي الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ بِإِيْتَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، هُمُ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْهَدَايَةَ الْكَامِلَةَ، فَبِهَدَاهُمْ دُونَ مَا يُغَايِرُهُ وَيُخَالِفُهُ مِنْ أَعْمَالٍ غَيْرِهِمْ وَهَفَوَاتٍ بَعْضُهُمْ اقْتَدَى أَيْهَا الرَّسُولُ فِيمَا يَتَنَوَّلُهُ كَسْبُكَ وَعَمَلُكَ مِمَّا بُعِثْتَ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَالصَّبْرِ عَلَى التَّكْذِيبِ وَالْجُحُودِ، وَإِذَاءِ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالْجُمُودِ، وَمُقَلَّدَةِ الْأَبَاءِ وَالْجُدُودِ وَإِعْطَاءِ كُلِّ حَالٍ حَقَّهَا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالِ، كَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، وَالشَّجَاعَةِ وَالْحِلْمِ، وَالْيَأْسَرِ وَالزُّهْدِ، وَالسَّخَاءِ،
وَالْبَذْلِ، وَالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، إلخ³⁶

ويذهب القرآن الكريم إلى جانب ذي بال في هذا المقام، أكثر دهشة وعمقا مما يتصور، حيث يهدينا إلى تلقف الخير حتى وإن كان من مخلوقات غير عاقلة كالطيور وسائر الحيوانات، فقال تعالى: ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ المائدة: ٣١، وفي الآية حكم على أن العاجز من لا يستطيع محاكاة الظواهر أمامه، وهو أدنى درجات التعلم، قال ابن عاشور: "وهذا المشهد العظيم هو مشهد أول حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب ستر المشاهد المكروهة. وهو أيضاً مشهد أول علم اكتسبه البشر بالتقليد وبالتجربة، وهو أيضاً مشهد أول مظاهر تلقّي البشر معارفه من عوالم أضعف منه كما تشبّه الناس بالحيوان في الزينة، فلبسوا الجلود الحسنة الملونة وتكلّوا بالريش الملون وبالزهور والحجارة الكريمة، فكم في هذه الآية من عبرة للتاريخ والدين والخلق"³⁷.

وقد أثنى سبحانه على قوم سمعوا الكلام وفهموا معناه، ولم يقيسوه على من صدر منه، فأخذوا بالطيب منه وأفادوا منه، وتركوا سيئه فكفوا شره: فقال سبحانه: ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ الزمر: ١٨، "يستمعون القول ممن كان، فيتبعون أولاه بالقبول وأرشده إلى الحق، ويلزم من وصفهم بذلك أنهم يميزون القبيح من الحسن ويجتنبون القبيح"³⁸.

وخلاصة الأمر أن الاستفادة من الآخرين عن طريق محاكاة النماذج منهج قويم، اعتمده القرآن وارتضاه وله من شواهد الكتاب العزيز ما يصعب حصره وإحصاؤه.

المطلب الثاني الاختلاف سنة لا تتبدل

شاءت حكمة الله تعالى أن يختلف الناس في خلقهم، وخلقهم، وميولهم وأمزجتهم، وخصائصهم، وألوانهم، ولغاتهم، وطرائق تفكيرهم، وقدراتهم الإدراكية؛ ومعطيات وجودهم قال تعالى: ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ الروم: ٢٢، لذا كان الخلاف بين البشر سنة إلهية ماضية إلى يوم القيامة، مرده اختلاف الطبائع والمصالح والأهواء. والإقرار بسنة الاختلاف والتنوع بين بني الإنسانية منهج أصيل، اعترف به القرآن الكريم، وعززه آياته وأحكامه، حتى داخل الأمة الواحدة. ووحدة الأمة بل والناس كلهم في المنظور القرآني لا يعني أنها واحدة في كل شيء، فهذا يعني أنها واحدة في عقيدتها وأصول دينها، ولكنه لا ينفي عنها عناصر التميز والاختلاف والتنوع بين شعوبها وفصائلها داخل الإطار الفسيح للعقيدة الواحدة³⁹.

ولو افترضنا التوافق بين الطيف الواحد فضلاً عن الأمم والنحل، لما تلونا قول الله عز وجل في كتابه العظيم ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ النساء: ٥٩، إذن لولا الخلاف بين الناس لكانت الدنيا كما هي مذ خلقها الله عز وجل، لكن اختلاف الآراء والأهواء أوجد نوعاً من التباين والتنوع في حياة الناس.

فمن سنن الله -تعالى- الثابتة في خلقه أن جعل الناس مختلفين في أشياء كثيرة: في ألسنتهم وألوانهم، وفي طبائعهم وميولهم النفسية والعقلية والعاطفية، وفي آرائهم ونظراتهم في الدين والنفس والمجتمع وما يحيط بهم، ولذلك قال تعالى: ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ هود: ١١٨.

ولحكمة يعلمها الله قضت أن يختلف الناس حتى لو كانوا أمة واحدة، قال تعالى: ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ هود:

١١٨، علق الإمام الشاطبي - رحمه الله على هذه الآية بقوله: "أخبر - سبحانه - أنهم لا يزالون مختلفين أبداً، مع أنه قد خلقهم للاختلاف، وهو قول جماعة من المفسرين، فالضمير في (خلقهم) عائد على الناس، فلا يمكن أن يقع منهم إلا ما سبق في العلم، وليس المراد هنا الاختلاف في الصور والألوان والأشكال فقط، إنما المراد الاختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بما يسعد الإنسان به، أو يشقى في الدنيا والآخرة"40.

وكان هذا الاختلاف لحكم عظيمة من أهمها: الابتلاء والامتحان؛ ليظهر عمل صاحب الحق وشطط ذي الباطل، وليتحمل كل إنسان مسؤولية فعله، ومنها أيضاً شحذُ العقل للمزيد من التدبر والتأمل في القرآن والنفس والآفاق. بل يقرر القرآن الكريم أن الناس في الأصل متوائمين متناغمين، وأن الخلاف طراً عليهم والتصق بطبيعتهم، قال تعالى: ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ يونس: ٩٩، وتأمل ما علق به ابن عجيبة في تفسيره لهذه الآية بقوله: "ولو شاء ربك هداية الخلق كلهم لأمن من في الأرض كلهم جميعاً بحيث لا يتخلف عنه أحد، لكن حكمته اقتضت وجود الخلاف، فمن رام اتفاقهم على الإيمان فقد رام المحال، ولذلك قال: أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ بِالْقَهْرِ على ما لم يشأ الله منهم حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ كلهم.

قال البيضاوي: وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء، وإيلاؤها حرف الاستفهام الإنكاري، وتقديم الضمير على الفعل، للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل، فلا يمكن تحصيله بالإكراه فضلاً عن الحث والتحريض عليه، إذ روى أنه ﷺ كان حريصاً على إيمان قومه، شديد الاهتمام به فنزلت"41.

المبحث الثالث

التطبيقات التربوية لمنهج القرآن الكريم
في الإفادة من تجارب الآخرين

من المعلوم أن دروس الحياة متنامية ومتجددة ومستمرة، تتجاوز أروقة التعليم ومحاضن التأديب المألوفة، تأثيراً وآفاقاً وقدرة ومنهجاً وسعة، لذا كان على التربويين أن يولوا مهارة الإفادة من تجارب الآخرين عناية فائقة، ذلك لما تشتمل عليه من إيجابية وإبداع، واختصار للوقت، وتسهيل للصعاب والمعوقات، ومعرفة للعقبات وأسباب الفشل والخذلان، وهضم لعوامل النجاح ودوافع النهوض.

وقد أشار القرآن الكريم إلى سبل الإفادة من تجارب الآخرين في مجالات متنوعة وشاملة لجميع مناحي الحياة الإصلاحية، كالجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها. وما يعنينا منها الآن هو ما يتصل بالمجال التربوي، إذ أننا نجد كثيراً من آيات القرآن الكريم تشير إلى مفاهيم ملتصقة بها من جهة التعرف على تجارب الآخرين وأثارهم، كالتعلم بالمحسوس لمن لا يعقل المجرد، وكطلب المعرفة باستخدام وسائلها، وكالتعلم بالنموذج والقوة ونحوها.

أولاً: التعلم بالمحسوسات والمشاهدات:

لفت القرآن الكريم انتباهنا إلى إجابة النظر في السموات والأرض ودعانا إلى السير في فجاج الأرض لنشاهد عن كثب آثار من قد سبق، فقال ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ آل عمران: ١٣٧، وهناك عدة آيات جاءت بمثل هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿١٠٠﴾ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ يونس: ١٠١، وقد تعرضت هذه الدراسة في المبحث الأول منها لبعض أقوال المفسرين من جهة التأكيد على الإفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم مما يغني عن إعادته ثانية، لكن ما هو حري بالقول -هنا- التلميح إلى أن فيها ملحظاً تربوياً أصيلاً، يفيد أن الإنسان يتأثر بالأشياء المحسوسة أكثر من مجرد المحاكاة النظرية المجردة، وهو أسلوب تربوي ناجع، فالمتعلم يستطيع أن يفهم المحسوسات أكثر من فهمه

للأفكار والرموز المجردة، والطفل يدرك الأشياء من حوله بهذه الطريقة فهو يعرف حيوانات البيئة عن طريق رؤيته لها في البداية، ثم في مرحلة تالية يعرفها عن طريق الصورة وأخيراً يستطيع إدراك الأشياء إدراكاً مجرداً حين سماع أسمها أو رمزها.

وإذا كان ذلك صفة للفرد في مراحل تعلمه فإنه كذلك تدرج لنضوج البشرية بأجمعها حيث "كَانُوا فِي طَوْرِ الْقُصُورِ مُنْغَمِسِينَ فِي الْحِسِّ وَالْمَحْسُوسِ، فَإِذَا تَخَلَّصُوا مِنْهُ إِلَى شَيْءٍ تَخَلَّصُوا إِلَى وَهْمٍ يُثِيرُهُ الْحِسُّ، وَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ لَهُ يَظُنُّ شَيْئًا وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، إِذَا عَجَبُوا كَيْفَ يَمُوتُ الْمَيِّتُ وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى فَهْمٍ مَعْنَى الْمَوْتِ ظَنُّوا أَنَّهُ يَغِيبُ عَنْهُمْ غَيْبَةً وَلَكِنْ لَا يَزَالُ يَتَعَهَّدُهُمْ بِمَا يُؤْذِيهِمْ، كَأَنَّ الْمَوْتَ يُحْدِثُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةً، فَظَنُّوا أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَمْوَاتِ مِنْ جُمْلَةِ الْعَادِيَاتِ الضَّارَّاتِ، الْمُعْيَنَاتِ النَّافِعَاتِ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يُعِدُّونَ لَهَا مَا يَرْضِيهَا، وَكَانُوا يَخَافُونَ أَنْ يَذْكُرُوا أَسْمَاءَهَا، وَإِذَا سَمِعُوا رَعْدًا أَوْ رَأَوْا بَرْقًا أَوْ أَمْطَرَتْهُمْ السَّمَاءُ أَوْ ذَعَرَتْهُمْ الْأَعَاصِيرُ، تَخَيَّلُوا أَشْبَاحًا مِثْلَهُمْ تُرْسِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيَذْهَبُ بِهِمُ الْخَيَالُ فِيهَا إِلَى مَا شَاءَ مِنْ صُورٍ وَتَمَاطِيلَ. وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالنُّجُومِ، إِذَا اسْتَعْظَمُوا مِنْهَا شَيْئًا لِعَظَمِ مَضَرَّتِهِ أَوْ لِكثَرَةِ مَنْفَعَتِهِ، تَوَهَّمُوا فِيهَا مَا شَاءُوا مِنْ قُدْرَةٍ تَفُوقُ قُدْرَتَهُمْ وَإِرَادَةٍ تَقْهَرُ إِرَادَتَهُمْ، وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ، وَالتَّجَارِبُ تَكْشِفُ لَهُمْ خَطَأَهُمْ فِيمَا يَتَوَهَّمُونَ، وَالْحَوَادِثُ تَأْتِيهِمْ بِعِلْمٍ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ، حَتَّى عَقَلُوا كَثِيرًا مِنْ أُصُولِ اجْتِمَاعِهِمْ وَكَشَفُوا شَيْئًا مِنْ عَنَاصِرِ بَنِيَّتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَوَصَلُوا إِلَى مَنْزِلَةِ الِاسْتِعْدَادِ لِأَنْ يَفْهَمُوا بَاطِنَ مَا عَقَلُوا وَسِرَّ مَا عَرَفُوا، وَلِأَنْ يَخْلُصُوا مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْجُسْمَانِيِّ الَّذِي كَانُوا فِيهِ إِلَى عَالَمٍ رُوحَانِيٍّ كَانُوا يَسِيرُونَ فِي طَلَبِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ"⁴².

ومن هنا كان للوسائل التعليمية أهمية كبيرة في نجاح العملية التعليمية انطلاقاً من المبدأ القائل: إن التعليم يبدأ من المحسوس إلى المجرد، وهذا ما دعا رجال التربية والتعليم إلى إدخال هذه الوسائل التعليمية في التدريس وجعلها ركيزة

مهمة، وأساساً لا يمكن الاستغناء عنها في العملية التعليمية، وهو ما أكدته كثير من الدراسات التي أجريت في الغرب⁴³.

ولأهمية استخدام الحس فقد ضرب الله تعالى للناس الأمثال ليوضح لهم سبل الخير وسبل الشر ويقرب إليهم الصورة بأمثلة محسوسة من حياتهم، قال تعالى: ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَظْمَنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ البقرة: ٢٦٠. في هذه الآية لم يمنع سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء كونه مرسلًا أن يطلب (رؤية) قدرة الله على إحياء الموتى بعينه، أي طريق البصر (وهو من أهم حواس الإدراك) وذلك بقوله (رب ارني كيف تحيي الموتى) ولم يستنكر المولى جل وعلا هذا الطلب من خليله، بل أمره بإجراء التجربة بنفسه حتى يتأكد من قدرة ربه على الإحياء. لقد استعملت التربية القرآنية في هذه الآية تقنية عالية، وهي جعل المتعلم (وهو نبي الله و خليله) يقوم بإجراء التجربة بنفسه والتي استعمل فيها (الجبل) و(الطيور)⁴⁴.

نخلص من كل ذلك إلى فكرة ذات قيمة، مفادها: أن القرآن الكريم استخدم كثيراً من وسائل التعليم المادية والحسية من أجل الارتقاء بتفكير البشرية وتحسين درجة تعلمها عمقاً وسرعة، وقدرة، وهو الأمر الذي ينبغي للمربين أن يفيدوا منه باستمرار ليرتقوا بطلبتهم وخاصة الأطفال منهم.

ثانياً: الحواس والتعلم:

خلق الله الإنسان في طفولته صفحة بيضاء، وأودعه من الحواس والملكات ما يمكنه من التعلم والإفادة من تجارب الآخرين، وهده إلى أدوات الوصول للمعرفة من أجل البناء على ما انتهى إليه السابقون بحيث لا يبدأ من الصفر، إذ أن التجربة باب الحكمة لمن أَرادها، فعن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: (لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة)⁴⁵.

وشاعت حكمة الله تعالى أن لا يولد الإنسان متعلماً "فَإِنَّ نُورَ الْعِلْمِ وَالْهَدَايَةِ

كَسْبِي فِي الْبَشَرِ وَمَا كَانَ غَيْرُ كَسْبِي فِي ذَاتِهِ كَالْوَحْيِ فَتَلَقَّيْهِ كَسْبِي وَفَهْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ كَسْبِيَانِ، وَظُلُمَاتُ الْجَهْلِ وَالْأَهْوَاءُ سَابِقَةٌ عَلَى هَذَا النُّورِ، فَالرَّسُولُ لَا يُولَدُ رَسُولًا وَإِنَّمَا يُؤْتَى الرِّسَالَةَ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى، وَالْعَالِمُ لَا يُولَدُ عَالِمًا، وَلَا الْفَاضِلُ فَاضِلًا إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَعَلُّمِ وَالْحِلْمُ بِالْتَحَلُّمِ⁴⁶.

والطفل يولد ولديه خبرة والديه والبيئة المحيطة لينهل منها ويستفيد من هداياتها وحكمها، ولأهمية هذه الحواس وجدت معه منذ نشأته، وهو ما يؤكده القرآن الكريم في أكثر من موضع منه، قال تعالى: ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ المؤمنون: ٧٨. وصرح القرآن الكريم بأن الطفل في أول ظهور له لا يملك من العلم إلا منافذه، فقال سبحانه: ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل: ٧٨.

ومن أجمل ما احتواه التراث التفسيري مما اطلعت عليه فيما يخدم موضوعنا ما خطه يراع صاحب المنار في قوله: "نشأت الجمعيّة البشريّة على ضرب من السّدّاجة لا تبلغُ بها إلى تناولِ الشُّنُونِ الرّفيعةِ والمّعانيِ العالِيةِ والمعارِفِ السّاميةِ، غيرَ أنّ الذي يُربّي الفردَ ويسوسُ قوّاهُ إلى أن يبلغَ رُشدُهُ هو الأبوانِ أو مَنْ يقومُ مقامَهُما، والذي يكفلُ الجمعيّةَ ويربّي قوّاهُ ويشدُّ بناها، إنّما هو الكونُ وما يمسّها من حوادثِهِ، والحاجّاتُ ووقّعُها، والضرُوراتُ ولذّعُها، وكما يؤدّبُ الصّبيَّ أبواهُ يؤدّبُ الجماعةُ شدّةً وقّع الحوادثِ الكونيّةِ منها، وهي في هذا الطّورِ لا همّ لها إلّا المحافظةُ على بنينّيها الجِسميّةِ، وحاجّاتها البدنيّةِ، وليسَ عندها من الزّمنِ ما تنفرّغُ فيه لأدنى من ذلك كما هو شأنُ الطّفلِ في صباهُ.

والنّارُ التي عثرَ عليها الباحثون في مبادئِ ظُهورِ الصّناعةِ عندَ البَشَرِ وارتقائِها من أدنى الأعمالِ إلى ما يطنُّه الناظرُ أعلاها اليومَ، تشهدُ شهادةً كافيةً بأنّ البَشَرَ كانوا في بدءِ أمرِهِم من قُصورِ القوّى على حالةٍ تشبّهُ حالةَ الصّبيّانِ في الأفرادِ، فقد كانوا في بعضِ أطوارِهِم لا يهتدونَ إلى اصطِناعِ المعادنِ القابلةِ للطّرقِ

كَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ، وَأَنَّ آلَاتِهِمْ لِلدِّفَاعِ وَنَحْوِهِ كَانَتْ مِنَ الْحِجَارَةِ، ثُمَّ ارْتَقَوْا إِلَى اسْتِعْمَالِ النُّحَاسِ، ثُمَّ ارْتَقَوْا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْحَدِيدِ، وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ كَانَ رَفِيٌّ مَعَارِفِهِمْ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الصَّنْعَةِ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَنْتَظِرَ كَيْفَ ابْتَدَءُوا وَضَعَ حُرُوفِ الْكِتَابَةِ مِنَ الْخَطِّ الْمِسْمَارِيِّ ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا يَرْتَقُونَ فِيهِ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى مَا تَعْرِفُ الْيَوْمَ، كُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْجَمَاعَةِ هِيَ بَعِينُهَا سُنَّتُهُ فِي الْفَرْدِ مِنْهَا مِنَ التَّدْرُجِ بِهِ مِنْ ضَعْفٍ إِلَى قُوَّةٍ وَمِنْ قُصُورٍ إِلَى كَمَالٍ... هُنَاكَ تَهَيَّأَ لَهُمْ أَنْ يَنْتَقِلُوا مِنْ طَوْرِ قُصُورِ الصَّبَا إِلَى أَوَّلِ سِنِّ الرُّشْدِ، فَجَاءَتْهُمْ النُّبُوَّةُ تَهْدِيهِمْ إِلَى مَا يَسْتَقْبِلُونَهُ فِي ذَلِكَ الطَّوْرِ الْجَدِيدِ، طَوْرٌ يَكُونُ وَاضِعُ النِّظَامِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ هُوَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ، وَيَكُونُ الْمُحَدَّدُ لِصِلَتِهِمْ بِرَبِّهِمْ تَعَالَتْ أَسْمَاؤُهُ هُوَ الرَّحِيمُ بِهِمُ الْعَلِيمُ بِمَصَالِحِهِمْ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مِمَّا لَا تُحَدِّدُهُ عُقُولُهُمْ، وَلَا تَسْمُوا إِلَى اكْتِنَاءِ ذَاتِهِ مَعَارِفُهُمْ، هَذِهِ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يُدْرِكُوهَا وَهُمْ فِي قُصُورِ الطَّوْرِ الْأَوَّلِ، قَدْ انْتَهَوْا إِلَيْهَا عِنْدَ دُخُولِهِمْ فِي الطَّوْرِ الثَّانِي.

فَهَذَا هُوَ قَوْلُ الشَّيْخَيْنِ: إِنَّ الْأُمَّةَ الْوَاحِدَةَ هِيَ الْأُمَّةُ الْآخِذَةُ فِي اعْتِقَادِهَا وَعَمَلِهَا بِالْعَقْلِ وَمُقْتَضَى الْفُطْرَةِ قَبْلَ النُّبُوتِ جَمِيعُهَا لِأَنَّ ظُهُورَ النُّبُوَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادَ لِقَبُولِهَا طَوْرًا مِنَ الْأَطْوَارِ الْبَشَرِيَّةِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ النَّوْعُ الْإِنْسَانِيُّ إِلَّا بَعْدَ التَّدْرُجِ فِي طَرِيقٍ طَوِيلَةٍ تَنْتَهِي غَايَتُهَا إِلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ⁴⁷.

وحيث إن الحواس أبواب التعلم، وجب تسخيرها في موقف التعلم ليصبح الموقف أكثر ثراءً، تتحقق فيه أهداف التعلم بصورة أفضل، ويتحقق توظيف الحواس المختلفة عند التلميذ بصورة أنجح باستخدام الوسائل التعليمية التي تتجلى أهميتها في كونها تخاطب العقل عن طريق الحواس⁴⁸. فمن حكمته تعالى أن يتلقى النشء معارفهم عن طريق منافذها فيهم، ليكون نصيب كل منهم حسب اجتهاده واستعداده لتلقي تلك المعارف.

وخلاصة الكلام أن الله فطر الإنسان على حب التعلم والبحث عن الحقائق والغوامض، وأوجد في أصل تكوينه سبل التوصل للمعارف والعلوم ليفيد منها من

خلال وسائلها وطرقها، وهي أولى لبنات البناء المعرفي لديه، لذا يلزم المربين ودوائر التعليم المختلفة إيلاء تلك الوسائل عناية كافية تمكن المتعلم من خلالها من اكتساب أكبر قدر ممكن من المهارات والخبرات التعليمية الموجهة نحو العقل والوجدان عن طريق الحركة والبصر والسمع.

ثالثاً: القدوة الصالحة:

مما لا شك فيه "أن المناهج والنظريات التربوية في حاجة دائمة إلى من يُطبّقها ويعملُ بها، وبدون ذلك تظلُّ تلك المناهج والنظريات حبراً على ورق، لا تتحقق جدواها ما لم تتحول تلك المناهج إلى سلوكٍ عمليٍّ يسير عليه الأفراد في تصرّفاتهم ومساوئهم وأفكارهم"⁴⁹. من هنا كانت القدوة الحسنة أهم مبادئ التعلم والتعليم، لذا فقد حث عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ الأحزاب: ٢١. وكما تقدم فالأنبياء كلهم محل اقتداء، ومثل أعلى، قال تعالى: ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهٖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ الأنعام: ٩٠، وقال تعالى في حق أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ الممتحنة: 4.

ولو حاولنا استقصاء المواقف التي كان فيها الرسول ﷺ معلماً لأصحابه من خلال القدوة لطلال بنا الأمر أو تعذر، لكن ما هو غني عن القول: بأن حياته ﷺ كانت ترجمة عملية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته، ولما فيه من أسس تربوية إسلامية، وأساليب تربوية قرآنية⁵⁰، إذ كان ﷺ قدوة لأصحابه في كل شيء، وفي جميع المجالات، بل أرشد أصحابه إلى التعلم بالقدوة والنموذج بالافتداء به في قوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"⁵¹.

ولهذا يدعو القرآن إلى دعم القول بالعمل، ومطابقة الأفعال للأقوال، قال تعالى: ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ الصف: ٢ - ٣، وفي هذا الإطار فقد سجل القرآن الكريم مثلاً بين فيه كيف يتعلم الإنسان عن طريق التقليد، فصور لنا قصة قتل قابيل أخاه هابيل، ولم يعرف كيف يتصرف في جثة أخيه، فبعث الله تعالى غراباً ينبش في الأرض؛ ليدفن غراباً ميتاً، فتعلم منه قابيل كيف يوارى جثة أخيه، قال تعالى: ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ المائدة: ٣١. فهذه الآية أصل عظيم لما يمكن أن يطلق عليه التعلم عن طريق المحاكاة والتقليد، وذلك حينما يحاكي شخص ما شخصاً آخر في القيام بفعل ما، أو يحاكيه في النطق بلفظ ما.

من هنا تظهر "أهمية القدوة الصالحة ودور المعلم كقدوة في العملية التعليمية، فعلى المربي أن يكون قدوة حسنة لطلابه في أقواله وأفعاله مهتدياً بكلام الله ومقتدياً بالرسول ﷺ وخاصة أن الطلاب يحاكون ويقلدون معلمهم أو من يعجبون به، فالقدوة الحسنة أكبر تأثيراً وأشد نفعاً من الحكم والمواعظ والمعلومات المجردة، لأنها تقدم للمتعلمين سلامة العقيدة وحسن الخلق، ممثلة أمامهم في سلوك المدرس" 52.

"والقدوة معيار مجسم للسلوك، ونموذج متقل للفكر، ومثل أعلى يمشي على الأرض وتتنوع مصادر القدوة، ونماذجها فتكون الأم نموذجاً لابنتها وقد لا تكون، وقد تكون المعلمة قدوة للتلميذة والأب والمعلم والرئيس كل قد يكون قدوة لمن يراهم وقد لا يكون" 53. والقدوة في التربية هي أفضل الوسائل جميعاً وأقربها إلى النجاح... والمنهج الإسلامي لا بد له من قلب إنسان يحمله فيجوله إلى حقيقة، ونموذج حق يتبعه الناس من بعده وقد وجد هذا القلب في شخصية الرسول ﷺ القدوة الشاملة المتجددة الباقية على مر العصور... كما أن التربية في المجتمع الإسلامي تقوم بدورها في تنشئة الأطفال عن طريق القدوة المتوافرة في المجتمع

متمثلة في الأسرة، والوالدين، والزملاء، والأفراد المؤثرين في بيئته⁵⁴.

ولا شك أن للقدوة الصالحة تأثير عميق في الأطفال، إذ لا يقتنعون بتعاليم المربي وأوامره بمجرد سماعها، بل يحتاجون مع ذلك إلى المثال الواقعي المشاهد، الذي يدعّم تلك التعاليم في نفسه، ويجعله يُقْبَلُ عَلَيْهَا وَيَقْبَلُهَا وَيَعْمَلُ بِهَا. وهذا أمرٌ لم يَغْفُلْ عنه السَّلَفُ الصَّالِحُ، بل تَبَّهُوا لَهُ، وَأَرْشَدُوا إِلَيْهِ المربين، فها هو عمرو بن عتبة يُرْشِدُ مُعَلِّمَ ولده قائلاً: "لِيَكُنْ أَوَّلَ إِصْلَاحِكَ لِبَنِي إِصْلَاحُكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنْ عَيُونَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا صَنَعْتَ، وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا تَرَكْتَ"⁵⁵. وهذا يؤكد أنه لا سبيل إلى التربية السليمة إلا بوجود قدوة صالحة تغدو نموذجاً عملياً للامتثال للأوامر، والاستجابة لها، والانزجار عن النواهي، والامتناع عنها⁵⁶.

وخلاصة الأمر أنه يلزم المعلم أن يوفر بيئة التعلم بالنموذج والقدوة، وأن يوجه طلبته ليقننوا بالرسول ﷺ في أقواله وأفعاله، وأن يكون محبوباً بين طلبته، يمثل مصدر اعتزاز وفخر عندهم في جميع تصرفاته، وسائر أخلاقه والتزاماته بمهماته، وحسن معاملاته، وهذا هو عينه أحد فروع المنظور التربوي القرآني.

المبحث الرابع

حكم الإفادة من تجارب غير المسلمين

ليس من غرض الدراسة هنا تقصي الحالة المعقدة التي أثارت طاقات مفكري الإسلام في العصر الراهن حول اتخاذ موقف حاسم إزاء ما يعرف ببريق الحضارة الغربية ومعطياتها المتنوعة بخيرها وشرها، ذلك أن الحديث عن علاقة المسلمين بحضارات غيرهم من الأمم والمجتمعات، وخاصة التقدم الغربي الهائل مؤخراً في مجال التقنية والاتصالات حديث ذو شجون، وللعلماء منه مواقف متباينة، دافعها التحدي، واهتزاز الثقة بالنفس حيناً، ومحاولة التقليد حيناً آخر، أو النظر إليها بعين الاتزان والروية أو الثورة عليها والبحث عن طريق جديد.

فهل يمكن استخلاص صيغة سليمة تمكن المسلمين من الإفادة مما هو عند القوم، دون الولوغ في حل عاداتهم وأفكارهم الضارة؟

ولاختصار الطريق نبادر لنقول: إن ما سبق ذكره من مباحث هذه الدراسة يجعل من الاختلاف الحاصل بين المجيزين والمانعين للإفادة من علوم غير المسلمين أمراً لا مبرر له، ولا مسوغ لوجوده، فالمنهج القرآني إزاء علوم الآخرين ومعارفهم يتسم بالانفتاح، ووجوب الاطلاع، وعدم سدّ أبواب النظر وطرق التعلم، والأدلة المتقدمة ظاهرة في تأييد القول بجواز الإفادة من تجارب الآخرين المفيدة والنافعة لأمتنا، لكنها إفادة مشروطة بأن لا تنشأ عنها أضرار أو محاذير، كما لو كان ذلك يعطي العدو فرصة لبسط نفوذه وهيمنته، أو نشر ثقافته وأفكاره مثلاً، فالمرغوب آنذاك هو التبعية للآخرين والانبهار بنهضتهم والانخداع بما عندهم، وليس الإفادة منهم فيما فيه خير ومنفعة.

بل نجد أن القرآن الكريم تقدم خطوات في مضمار النظر فيما عند القوم من مواقف وأحداث، بأن حثنا على استخلاص الفوائد من الظواهر السلبية لديهم، فكثير منها لا يخلو من العبر والعظات، كقوله تعالى: ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ الروم: ٩ وغيرها من الآيات الداعية إلى النظر في آثار السابقين وعاقبة أمرهم.

وللشيخ رشيد رضا وصف صادق لما حصل من بعض المسلمين حول موقفهم من حضارة الغرب إذ قال: "يعلم الناظرون فيما نكتب أن التشبه بالأوروبيين في أزيائهم وعاداتهم قد جرى في الشرق جريان الدم في العروق، فأبناء الدنيا يرون في ذلك شرفاً ورفعة، والمنتصرون للدين يرونه ذنباً وبدعة، وغلوا في ذلك حتى ذموا تقليد المخالف في كل شيء وإن كان نافعا مفيدا"⁵⁷.

ومعلوم أن الإفادة المترنة من منجزات الآخرين لبناء الحياة وتسهيل مصاعبها، دون أن تنشأ عنها سلبات جسيمة، منهج قرآني ورؤية صائبة عززته السيرة العملية، وقررت الأدلة المستفيضة من حياة رسول الله ﷺ، باعتبارها فريضة

وضرورة، فالمكتشفات التقنية الحديثة لدى الآخرين يؤخذ بها إذا كانت تحقق منفعة للأمة.

ولقد قدم الشيخ الشنقيطي منحنى منطقيا في الاستدلال لهذه المسألة يعد تحفة نادرة وملحوظة رائعة في أضوائه حين قال: "والتقسيم الصحيح يحصر أوصاف المحل الذي هو الموقف من الحضارة الغربية في أربعة أقسام لا خامس لها، حصراً عقلياً لا شك فيه:

الأول: ترك الحضارة المذكورة نافعها وضارها.

الثاني: أخذها كلها ضارها ونافعها.

الثالث: أخذ ضارها وترك نافعها.

الرابع: أخذ نافعها وترك ضارها.

ففرجع بالسبر الصحيح إلى هذه الأقسام الأربعة، فنجد ثلاثة منها باطلة بلا شك، وواحداً صحيحاً بلا شك.

أما الثلاثة الباطلة: فالأول منها تركها كلها، ووجه بطلانه واضح، لأن عدم الاشتغال بالتقدم المادي يؤدي إلى الضعف الدائم، والتواكل والتكاسل، ويخالف الأمر السماوي في قوله: جل وعلا: ﴿وَعَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^{٦٠} الأنفال: ٦٠. لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى... حتى يراق على جوانبه الدم⁵⁸.

القسم الثاني من الأقسام الباطلة: أخذها؛ لأن ما فيها من الانحطاط الخلقي وضياع الروحية والمثل العليا للإنسانية، أوضح من أن أبينه. ويكفي في ذلك ما فيها من التمرد على نظام السماء، وعدم طاعة خالق هذا الكون جل وعلا. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۚ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾^{٥٩} يونس: ٥٩ وقال سبحانه: ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ

يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كِمَّةُ الْفُضْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ^{٥٩} وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ الشورى: ٢١.

والقسم الثالث من الأقسام الباطلة: هو أخذ الضار وترك النافع، ولا شك أن هذا لا يفعله من له أقل تمييز، فتعينت صحة القسم الرابع بالتقسيم والسبر الصحيح، وهو أخذ النافع وترك الضار.⁵⁹

إذن ليست علوم الآخرين سواء، فهناك كثير من سنابل الخير كامنة بين أنقاض الشر، وهذا يحتاج من الأمة تقلب صفحات الشر، والنظر في ثنائها للوصول إلى الخير، وعدم التغافل عنه.

وقد انتبه لذلك الشيخ رشيد رضا حين قال: "وأما أخذ العلوم والفنون وأصول الصنائع عنهم فلا محذور وراءه، ولا محذور أمامه،... ولا التفات لسفهاء الأحلام، المستغرقين في أودية الأحلام حيث يغمزون الناظرين في تلك الفنون ويلمزونهم، ولا شبهة لهم إلا أن من تتقل عنهم ليسوا من المسلمين، والخطب سهل، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها) ورواه الترمذي عن أبي هريرة، ورواه العسكري عن أنس^{٦٠} مرفوعاً بلفظ: (العلم ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها) وفي رواية عند القضاعي أنه قال آخر الحديث: (حيثما وجد المؤمن ضالة فليجعلها إليه) وروي عن ابن عمر^{٦١} موقوفاً عليه⁶⁰ أنه قال: (خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت)⁶¹.

وجملة أقوال العلماء في هذا المجال: أنه ليس من الضروري أن يظل الإنسان أسير الأفكار والعادات والأساليب المتداولة في المحيط الذي يعيش فيه، فلو كان له نظرة جديدة لا يقلد غيره فيها تقليداً أصم، ولا يرفض كل شيء عنده، فعليه أن يبادر إلى ذلك، ويمضي نحو ما فيه النفع العام للمسلمين أو للإنسانية جمعاء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَإِنْ ذَكَرَ مَا لَنَا يَتَعَلَّقُ بِالذِّينِ مِثْلَ مَسَائِلِ "الطَّبِّ" وَ "الْحِسَابِ" الْمَحْضِ الَّتِي يَذْكُرُونَ فِيهَا ذَلِكَ وَكَتَبَ مَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ مِثْلُ: مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الرَّازِيِّ وَابْنِ سِينَا وَنَحْوَهُمَا مِنْ الزَّنَادِقَةِ الْأَطِبَّاءِ مَا غَايَتُهُ انْتِفَاعٌ بِأَثَارِ الْكُفَّارِ

وَالْمُنَافِقِينَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فَهَذَا جَائِزٌ، كَمَا يَجُوزُ السُّكْنَى فِي دِيَارِهِمْ وَلُبْسُ ثِيَابِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ وَكَمَا تَجُوزُ مُعَامَلَتُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا عَامَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ خَيْبَرَ وَكَمَا اسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ لَمَّا خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرَيْنِ "ابْنُ أَرِيقَطٍ" - رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ - هَادِيًا خَرِيبَتَا، وَالْخَرِيبَةُ الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ وَانْتِمَانُهُ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَدَوَابِّهِمَا وَوَعَادَاهُ غَارَ ثَوْرٍ صُبْحَ ثَالِثَةٍ وَكَانَتْ خَزَاعَةُ عَيْبَةٍ نَصَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ وَكَانَ يَقْبَلُ نَصَحَهُمْ. وَكُلُّ هَذَا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَنْصُرُ النَّبِيَّ ﷺ وَيَذُبُّ عَنْهُ مَعَ شَرِكِهِ وَهَذَا كَثِيرٌ. فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ فِيهِمُ الْمُؤْتَمَنُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا⁶² ذَلِكَ بَأْتَهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّانِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ آل عمران: ٧٥، وَلِهَذَا جَازَ اثْتِمَانُ أَحَدِهِمْ عَلَى الْمَالِ وَجَازَ أَنْ يَسْتَطِبَّ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ ثِقَةً، نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْأَثْمَةُ كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ، إِذْ ذَلِكَ مِنْ قَبُولِ خَبَرِهِمْ فِيمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَاثْتِمَانُ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ جَائِزٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَفْسَدَةٌ رَاجِعَةً، مِثْلُ وَلَايَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعُلُوُّهُ عَلَيْهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَأَخَذَ عِلْمُ الطَّبِّ مِنْ كُتُبِهِمْ مِثْلُ الْإِسْتِذْلَالِ بِالْكَافِرِ عَلَى الطَّرِيقِ وَاسْتَطْبَابُهُ بَلْ هَذَا أَحْسَنُ، لِأَنَّ كُتُبَهُمْ لَمْ يَكْتُبُوهَا لِمُعَيَّنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَدْخُلَ فِيهَا الْخِيَانَةُ لَيْسَ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِالْخِيَانَةِ بَلْ هِيَ مُجَرَّدُ انْتِفَاعٍ بِأَثَارِهِمْ كَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَزَارِعِ وَالسَّلَاحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ⁶²

نقلت كلام شيخ الإسلام بتمامه لأبرهن على أن الإفادة من تقنيات الأمم الأخرى وخبراتهم لا تخل باستقلالية الأمة وتميزها، فالباب في هذه المعارف والتقنيات مفتوح للداخلين، وكل جيل يبدأ من حيث انتهى من سبقه، ولا يظن بعقل أنه يحرم الإفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم، ومعلوم أن هؤلاء الآخرين ما تقدموا إلا بما نقلوه عن أسلافنا من فكر وخلق ووعى وتجربة.

وما هو غني عن القول أن من يتتبع مراحل التاريخ الإسلامي يجد أنه لما خرج المسلمون من الجزيرة العربية إلى بلاد فارس والهند والشام ومصر وشمال

إفريقيا والأندلس، التقوا بحضارات متنوعة، ولم يتوانوا عن الإفادة منها والتفاعل معها، بحجة أنها تعود لإرث غير المسلمين، بل ترجموا أمهات الكتب اليونانية والفارسية والرومانية والهندية وغيرها في الطب والفلك والهندسة والزراعة والفلسفة، ونهلوا من العلوم النافعة دون أن يرتموها في أحضان التقليد والتبعية.

ومن المناسب أن أختتم هنا بقول الشيخ رشيد رضا: "ولا غرو فإن شرعاً أساسه الحكمة، ودعامته الفضيلة، وغايته سعادة الدارين والظفر بالحسنين، يأمر بسلوك الجادة، وعدم الاستكاف عن الاستفادة، وهذه كتب أعلام الملة في تفسير الكتاب الكريم وشرح الحديث الشريف والتصوف والأدب والتاريخ محشوة بكلام حكماء اليونان الذين نقلت علومهم إلى الأمة، وحكماء الفرس الذين خالط أمتهم العرب، وبحكايات أحوال عباد بني إسرائيل ورهبان النصارى"⁶³.

وخلاصة الأمر أن مهارة الإفادة من تجارب الآخرين اليوم تعدّ أحد أجنحة مستقبل الأمة وقوتها، كما أن معطيات الواقع المعاصر تحتم عليهم البحث عن تلك التجارب وتعزز أهميتها، فهي من أوجب الواجبات وأولى الأولويات، وهي خاضعة لمنفعة الأمة ومصلحتها، بشرط أن لا تخالف أصول الإسلام ومصادره، أو تؤدي إلى تشبه المسلمين بالكافرين، أو تخرم استقلال حضارة المسلمين، أو توهن من عضدهم وقوتهم، أو تلغي شخصيتهم وهويتهم، أو تؤدي إلى التأثير على ثقافتهم وأصول أفكارهم.

الخاتمة:

بعد هذه المعالجة المتواضعة لموضوع قرآني تربوي ذي قيمة وأهمية واضحة في واقع أمتنا المعاصر، وخاصة في عصر التقدم العلمي للآخرين، والانبهار العالمي المعاصر ببريق الحضارة الغربية وتألقها، نأتي على أهم ما توصلنا إليه من النتائج والتوصيات كالاتي.

أولاً: النتائج:

- إن القرآن الكريم نظر إلى الناس نظرة تكريم، واعتبر الآخرين واحترام آراءهم

- ولم بلغ جهودهم وثمرات أعمالهم.
- إن الإنسان لم ينل حقه بالتعبير والتكريم في ظل أي قانون أو تشريع كما وجد له في ظل القرآن الكريم.
- إن القرآن الكريم اعتبر الخبرة البشرية خبرة مترakمة، يقوم اللاحق بالإفادة مما تركه السابق ويبني عليه.
- الإرث المعرفي بمفهوم القرآن الكريم إرث بنائي إنساني يتلقاه اللاحق عن السابق، ويبني الآخر على ما توصل إليه الأول، من أجل الخروج بتكامل العقل الإنساني ورفد إبداعاته، وعدم تناقض نتاجاته.
- انفتاح المسلمين على الحضارات يتطلب شروطاً لا بد من توافرها فيهم لتحقيق الاستفادة بشكل إيجابي من ثمار التجارب، وتراث الحضارات والثقافات المتعددة.
- الانغلاق على حضارة الأمة، وسد سبل المعرفة الموصلة إلى تجارب الآخرين وعلومهم، يتعارض ومنهج القرآن الكريم في التعامل معها والإفادة من نتائج خبراتها، بالإضافة إلى أنه يعد انتحاراً جماعياً للأمة ومقدراتها، سيما في عصر تقدم فيه العدو وتأخر فيه المسلمون.
- ينزع المنهج القرآني في التربية والتعليم إلى إتاحة المجال للإفادة من الوسائل النافعة في التعلم والتعليم عند الآخرين، والأخذ بتطبيقاتها وبرامجها النظرية والعملية، ليتسنى إمكانية تعلم أفضل لا فاضل.
- الهدى القرآني يقتضي أن الحكمة ضالة المؤمن، وهو أحق بها من غيره، ما دام أن ذلك الغير قد يستفيد منها لتقوية انحرافه، وتأكيد موقعه المناوئ للحق وللأصالة والفطرة، وهذا الهدى ينطبق على الماضي كما ينطبق على الحاضر، فالمسلمون لا ينفلقون عن الاستفادة من علوم الآخرين النافعة أو الاطلاع على خبرات الآخرين، لأن ذلك يساعد على التعرف على مكامن الخير لتنميته، والتعرف على عوامل الانحراف لمعالجته.

- إن اختلاف الدين لا يعفينا من مهمة البحث عن الخير، ولا يوجب علينا التقوقع والانزواء وعدم الإفادة مما لدى الآخرين من تقنية وتقدم أو علوم ومعارف تتصل بأمور الدنيا وتجارب الحياة.
- إن إفادتنا من أنواع العلوم ومظاهر التقدم المختلفة من غيرنا لا يعني بحال استعادة لشكل من أشكال الغزو الفكري، ولا يعني -كذلك- ضرورة الاغترار والانخداع بهم، أو استيراد ثقافتهم وأساليبهم في الحياة، ولكنها الوسطية المنبثقة من منهج القرآن الكريم، بحيث نأخذ من كل شيء أنفعه.
- وجملة النتائج أن الخطاب القرآني خطاب إنساني عالمي، ترسم من خلال مبادئه لوحات اللقاء والحوار، وتنظم فيه مفاهيم تتكاح الأفكار وتبادل العلوم بين أفراد بني الإنسانية جمعاء.

ثانياً: التوصيات

- في ضوء النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، يوصي الباحثان بما يأتي:
1. اشتمل القرآن الكريم على العديد من اللفات التي تنطوي على مناحي متنوعة تمس جوانب حياة الأمة المختلفة، وتكفل مواجهة المشكلات المستجدة التي تعاني منها في مسيرتها الطويلة، لذا يوصي الباحثان بتتبع تلك الإشارات ودراستها وتقديمها لجهات التنفيذ المختصة ليتسنى لها الاسترشاد بها وتطبيقها.
 2. تحتم علينا عالمية القرآن الكريم عقد المؤتمرات والندوات العلمية الدولية المنبثقة من هدايات القرآن الكريم وعلومه، وذلك بالاتفاق والتنسيق مع المختصين داخل الجامعات الإسلامية والعالمية ومراكز البحوث المتخصصة في الدراسات الإسلامية، وإتاحة الفرصة للعلماء لإلقاء المحاضرات ونشر الكتب والبحوث باللغات العالمية المختلفة على هذا الصعيد.
 3. إن من المهمات الكبرى لدى المتخصصين في الشريعة وسائر العلوم أن يؤلوا عناية فائقة لتجارب الآخرين المستفادة من مدرسة الحياة، وذلك لتأثيرها الكبير في

مستقبل الأمة وشخصيتها، وينبغي لمحاضن العلم وأروقتة أن يُعلِّموا الأبناء الطريقة المثلى في الاستفادة الدائمة والمستمرة من التجارب التي عند الآخرين، لأنها درس متجدد لا ينقطع، ويفتح للإنسان آفاقاً واسعة في الجانب العملي، وهذا يهيئهُ للأخذ بأسباب التقدم والرفق.

4. الهدي القرآني يقتضي أن الحكمة ضالة المؤمن، وهو أحق بها من غيره، ما دام أن ذلك الغير قد يستفيد منها لتقوية انحرافه، وتأكيد موقعه المناوئ للحق وللأصالة والفضيلة، وهذا الهدي ينطبق على الماضي كما ينطبق على الحاضر، فالمسلمون لا ينغلقون عن الاستفادة من علوم الآخرين النافعة أو الاطلاع على خبرات الآخرين، لأن ذلك يساعد على التعرف على مكامن الخير لتنميته، والتعرف على عوامل الانحراف لمعالجته.

5. إن اختلاف الدين لا يعفينا من مهمة البحث عن الخير، ولا يوجب علينا التوقع والانزواء وعدم الاستفادة مما لدى الآخرين من تقنية وتقدم أو علوم ومعارف تتصل بأمور الدنيا وتجارب الحياة.

6. وأخيراً، فإن هذه الدراسة، ربما تعدُّ إسهاماً متواضعاً في الجهود الرامية إلى التأسيس الإسلامي لقضية طالما أرقّت عقول المفكرين وأعيت قواهم، إذ يمكن أن تنتظم هذه المادة ضمن موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى وحضارات الأمم، فجاءت هذه الدراسة التي استمدت عبقها من كتاب الله تعالى.

7. ونرجو ختاماً أن نكون قد وفينا الدراسة حقها من العرض والتقديم، والتوصل إلى النتائج المترتبة عليها، وتحقيق الأهداف المرجوة منها، وأن تكون هذه الدراسة قد حققت غرضها من الكشف عن هدايات القرآن الكريم، وكلنا أمل -أيضاً- نكون قد أدينا جزءاً من واجبنا تجاه المعجزة الكبرى، مع اعترافنا وإقرارنا بتقصيرنا، فما بذلناه فيه إلا جهد المقل.

هوامش البحث:

¹ - انظر: (الاستفادة من مخترعات وتجارب غير المسلمين، في ضوء السنة النبوية، دراسة حديثة) إبراهيم الريس، ص 73.

- 2- رضا، محمد رشيد بن علي (تفسير المنار) 497/7.
- 3- المرجع السابق والصفحة نفسها.
- 4- الألوسي، (روح المعاني) 253/23.
- 5- الألوسي، (روح المعاني) 140/22.
- 6- الميداني، ضوابط المعرفة، ص(364,363).
- 7- ابن عاشور، محمد الطاهر (التحرير والتنوير) 268/3.
- 8- دروزة، محمد عزت (التفسير الحديث) 164/7.
- 9- انظر: (الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟) محمد عمارة، 17.
- 10- انظر بحث: (السنة النبوية والإفادة من تجارب الآخرين دلالة تميز ومظهر إبداع)، محمد السوادة، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد 7، 1434هـ، ص18.
- 11- السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص57.
- 12- الخلوتي (تفسير روح البيان) 74/5.
- 13- مراد هوفمان (الإسلام كيدل) ص 73.
- 14- انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، فضل عباس، ص9.
- 15- ابن عاشور، محمد الطاهر (التحرير والتنوير) 122/6.
- 16- دروزة، محمد عزت (التفسير الحديث) 51/9.
- 17- الجويني، أبو المعالي (نهاية المطلب في دراية المذهب) 7/18.
- 18- انظر بحث: (السنة النبوية والإفادة من تجارب الآخرين) محمد السوادة، ص18.
- 19- انظر المرجع السابق ص19 - 20.
- 20- عيني، محمد عزت صالح (أحكام التحالف السياسي في الفقه الإسلامي) ص11.
- 21- انظر بحث: (تعظيم الحرم) للسحيم، ص45. وانظر صحيح مسلم، 894/2 رقم 1219.
- 22- العسقلاني، ابن حجر (فتح الباري) 444/3.
- 23- الطبري، ابن جرير، (جامع البيان) 346/534,2/1.
- 24- رواه البخاري في صحيحه 1108/3، ح 2880. وبحث: (تعظيم الحرم) للسحيم، 73.
- 25- ابن عاشور، محمد الطاهر (التحرير والتنوير) 144/10.
- 26- انظر: (عادات عربية في ضوء القرآن الكريم، عبد الفتاح خضر، 78-83.
- 27- رضا، محمد رشيد (تفسير المنار) 104/6.
- 28- أنظر -مثلاً- كلام الشاطبي حول الأسماء الأعجمية في القرآن، الموافقات للشاطبي، 103/2.
- 29- انظر بحث (السنة النبوية والإفادة من تجارب الآخرين) للباحث، 19-20.
- 30- انظر: (الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟) محمد عمارة، 17.
- 31- انظر: مقدمة ابن خلدون، 126.

- 32- الجزائري، أبو بكر (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) 381/1.
- 33- رضا، محمد رشيد (تفسير المنار) 114/4.
- 34- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (معالم التنزيل) 275/6.
- 35- الشعراوي، محمد متولي (تفسير خواطر) الرابط: <http://www.elsharawy.com/>
- 36- رضا، محمد رشيد (تفسير المنار) 497/7.
- 37- بن عاشور، محمد الطاهر (التحرير والتنوير) 174/6.
- 38- الألويسي، محمود (روح المعاني) 253/23.
- 39- انظر: التعددية في مجتمع إسلامي "جمال البنا: ص 10، 11.
- 40- الشاطبي، إبراهيم بن موسى الغرناطي (الاعتصام) 670.
- 41- ابن عجيبة أبو العباس بن محمد (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) 500/2.
- 42- رضا، محمد رشيد (تفسير القرآن الحكيم) 233/2.
- 43- انظر: (المنهج المدرسي المعاصر) حسن جعفر الخليفة، ص 158.
- 44- انظر: مدخل الى علم التقنيات التربوية، ابتسام جعفر الخفاجي، موقع كلية التربية الأساسية، جامعة بابل-العراق، رابط: <http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=11&lcid=31110>
- 45- قال السخاوي: "أخرجَ الحاكم في مستدرکه من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". انظر: (المقاصد الحسنة) للسخاوي، 723/1.
- 46- رضا، محمد رشيد (تفسير القرآن الحكيم) 242/7.
- 47- رضا، محمد رشيد (تفسير القرآن الحكيم) 233-234.
- 48- انظر: مشروع المصلحة الاقتصادية في إطار الوسائل التعليمية، شعباني عزوز .
- 49- فريد، أحمد فريد (التربية على منهج أهل السنة والجماعة) الدار السلفية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص (251).
- 50- النحلاوي، عبد الرحمن (أصول التربية الإسلامية وأساليبها) ص 228.
- 51- الألباني محمد ناصر الدين (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم)
- 52- طويلة، عبد الوهاب- (التربية الإسلامية وفن التدريس) ص 19.
- 53- الأغا، إحسان خليل (أساليب التعلم والتعليم في الإسلام) ص 166.
- 54- قطب، محمد قطب (منهج التربية الإسلامية) ص 221.
- 55- ابن عبد ربه، أحمد (العقد الفريد) ج 2-436-437.
- 56- مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن باحارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ص (68) وانظر: (التربية عن طريق القدوة الصالحة) محمد بن سالم بن علي جابر، أضيف على شبكة الألوكة بتاريخ 2007/5/30 م- 1428/5/14 هـ، رابط الموضوع: <http://www.alukah.net/social/0/829/#ixzz2p85LxOLE>
- 57- رضا، محمد رشيد (مجلة المنار) 551/1.
- 58- البيت للمتنبّي، انظر كتاب: أبو الطيب المتنبّي ما له وما عليه، للثعالبي، 1/ 128.

- 59- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) 291/20. 1393 هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م.
 - 60- ورفعته أيضاً، انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعراقي وآخرين، 161/1، دار العاصمة للنشر - الرياض.
 - 61- رضا، محمد رشيد (مجلة المنار) 551/1. الترمذي، 51/5، رقم (2687) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، مكتبة مصطفى الحلبي - مصر، 1395 هـ - 1975 م.
 - 62- تيمية، ابن تيمية الحراني (مجموع الفتاوى) 115/4.
 - 63- رضا، محمد رشيد (مجلة المنار) 551/1.
- المراجع**
1. الأغا، إحسان خليل (أساليب التعلم والتعليم في الإسلام) الطبعة الثالثة-1981، الجامعة الإسلامية- غزة.
 2. الألباني، محمد ناصر الدين (صفة صلاة النبي ﷺ) المكتب الإسلامي - عمان، بدون تاريخ.
 3. الألوسي، محمود أبو الفضل، (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) دار إحياء التراث العربي - بيروت.
 4. باحارث، عدنان حسن (مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة) دار المجتمع للنشر والتوزيع.
 5. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (الجامع الصحيح) "194-256هـ" المكتبة السلفية بالقاهرة- الطبعة الأولى 1400هـ".
 6. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (معالم التنزيل) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة- 1417 هـ - 1997 م.
 7. البناء، جمال (التعددية في مجتمع إسلامي) دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ط1-2001.
 8. تيمية، ابن تيمية الحراني (مجموع الفتاوى) 115/4، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، 1426 هـ-2005 م.
 9. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (أبو الطيب المتنبى ما له وما عليه) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية - القاهرة.
 10. جابر، محمد بن سالم (التربية عن طريق القدوة الصالحة) مقال أضيف على شبكة الألوكة بتاريخ 2007/5/30 م- 1428/5/14 هـ، رابطة: <http://www.alukah.net/social/0/829/#ixzz2p85LxQLE>
 11. الجزائري، جابر بن موسى أبو بكر (أسر التفاسير لكلام علي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ-2003م
 12. الجويني، عبد الملك بن عبد الله الملقب بإمام الحرمين (نهاية المطالب في دراية المذهب) (المتوفى: 478هـ) حققه وصنع فهرسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الذيب، دار المنهاج- الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م.
 13. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (فتح الباري شرح صحيح البخاري) دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان، الطبعة الثانية .
 14. خضر، عبد الفتاح (عادات عربية في ضوء القرآن الكريم) مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد الثالث (جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ) (فتح الباري 444/3 .

15. الخفاجي، ابتسام جعفر (مدخل الى علم التقنيات التربوية) موقع كلية التربية الأساسية، جامعة بابل-العراق، رابط: <http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=11&lcid=31110>.
16. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (المقدمة) دار الكتب العلمية، بيروت — 1398هـ.
17. الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (تفسير روح البيان) 74/5، دار إحياء التراث العربي.
18. الخليفة، حسن جعفر (المنهج المدرسي المعاصر) ط 10 - 2010، مكتبة الرشد-الرياض.
19. دروزة، محمد عزت (التفسير الحديث) دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- دار الغرب الإسلامي - دمشق، 1383.
20. رضا، محمد رشيد (تفسير القرآن الحكيم) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
21. الرئيس، إبراهيم بن حماد (الاستفادة من مخترعات وتجارب غير المسلمين، في ضوء السنة النبوية، دراسة حديثة) نشر في مجلة الدراسات الإسلامية، عام 1427هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض الرئيس
22. السحيم، محمد بن عبد الله بن صالح (تعظيم الحرم دراسة تعتمد على نصوص من التوراة والإنجيل والقرآن) قسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية- جامعة الملك سعود م - 1430هـ - رابط islamhuse.com.
23. السخاوي محمد بن عبد الرحمن (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) تحقيق: محمد عثمان، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1985 م.
24. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1420هـ - 2000 م
25. السوادة، محمد محمود (السنة النبوية والإفادة من تجارب الآخرين دلالة تميز ومظهر إبداع)، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد 7، 1434هـ.
26. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (الاعتصام) 670، تحقيق ودراسة: محمد بن عبد الرحمن الشقيير وزميله، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى - 1429 هـ - 2008 م.
27. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (الموافقات) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م.
28. الشعراوي، محمد متولي (تفسير خواطر للشعراوي) الرابط: <http://www.elsharawy.com/>
29. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م.
30. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (جامع البيان في تأويل القرآن) تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - 1420 هـ - 2000 م.
31. طويلة، عبد الوهاب (التربية الإسلامية وفن التدريس) الطبعة الأولى - 1997، دار السلام، القاهرة.
32. ابن عاشور، محمد الطاهر (التحرير والتنوير) الطبعة التونسية- دار سحنون للنشر والتوزيع تونس - 1997 .
33. عباس، فضل حسن (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية) دار البشير - عمان 1407

34. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) 6 / 377 - 378، نشر وزارة الأوقاف، تحقيق: مصطفى العلوي وآخرين، 1412هـ.
35. ابن عبد ربه، أحمد ابن عبد ربه الأندلسي (العقد الفريد) تحقق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى - 1404 - 1983.
36. ابن عجيبة أبو العباس بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) القاهرة، سنة الطبع: 1419 هـ، تحقيق: أحمد رسلان.
37. العراقي، عبد الرحيم بن الحسين (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين) دار العاصمة-الرياض.
38. عزوز، شعباني عزوز وزملاؤه (مشروع المصلحة الاقتصادية في إطار الوسائل التعليمية) الملتقى التكويني - 21 نوفمبر 2012م، وزارة التربية الوطنية- الجزائر.
39. عمارة محمد (إسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟) دار الشروق الدولية.
40. غنيني، محمد عزت (أحكام التحالف السياسي في الفقه الإسلامي) قدمت هذه الرسالة استكمالاً لدرجة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية-نابلس- فلسطين، 2008م إشراف الدكتور عبد المنعم جابر أبو قاهوق.
41. فريد، أحمد فريد (التربية على منهج أهل السنة والجماعة) دار السلفية، الإسكندرية.
42. قطب، محمد قطب (منهج التربية الإسلامية) دار الشروق، بيروت.
43. الميداني، عبد الرحمن حسن حنكة (ضوابط المعرفة) دار القلم بدمشق- 1414 هـ ط: الرابعة.
44. النحلاوي، عبد الرحمن (أصول التربية الإسلامية وأساليبها) دار الفكر - دمشق، 1979.
45. النيسابوري، مسلم بن الحجاج (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
46. هوفمان، مراد ويلفريد (الإسلام كبديل) مجلة النور الكويتية ومؤسسة باقاريا، ط2-1997م.

رقم الإيداع بدار الكتب: (2012/18620)
 الترقيم الدولي الموحد: (ISSN 2090-9993)